الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربيالرقم التسلسلي:

رقم التسجيل ط1 :064085030

رقم التسجيل ط2 :085097047

مذكرة مكملة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث و معاصر.

الإنتقـــام من الآخـــــر

في رواية شرفة العارلإبراهيم نصر الله

إعداد الطالبتين :

سمية فودي

فتيحة حامدي

إشراف الدكتورة:

بغدادي نسيمة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
عرباوي محمد	استاذ محاضر (ب)	جامعة المسيلة	رئيسا
بغدادي نسيمة	استاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
بن ستيتي السعدية	أستاذ محاضر(أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية 1439– 1440 ه / 2018–2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

سورة النساء الآية 01

شكر وعرفان

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى أستاذتنا " **بغدادي نسيمة**" لقبولها الإشراف على هذا العمل ، والفضل الأكبر لأستاذنا الفاضل "**ميداقين هشام** " الذي كان له الدور الأهم في إخراج هذا العمل إلى النور ،نشكر كل توجيهاتهما التي أمدّانا بها حتى أثمرت .

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم الأدب العربي الذين لهم الفضل الكبير في تخرج الكثيرين والذين تمكنو من إيصال رسالة المعرفة نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

المقدمة

يعدّ الحديث عن الآخر الرجل, في مقابل المرأة الأنثى, هو الحديث عن العلاقة بين طرفين متقابلين ، أحدهما الذات المرأة التي تخضع للآخر على اعتبار أن التاريخ والثقافة يرجحان كفة الهيمنة لصالحه، في مقابل اضمحلال الذات الأنثوية تحت جناحيه ، وهذا ما شهدناه في العصور الأخيرة للإسلام من خلل في النظم وتطبيقا خاطئا للنص الديني سواء على الصعيد الأدبي أو الفكري أو الثقافي، وصولا إلى عصرنا الحاضر فصار ذكر اسم المرأة في المجتمع الذكوري عورة بالنسبة له، ولا يمكن البوح به أمام الرجال.

فالحديث عن المركزية الذكورية إشارة إلى عنف سلطوي وكذلك جرأة على تعرية أنظمته وقوانينه القهرية التي ظلت مسلمة لدى مختلف الشعوب والحضارات العالمية، وتشكل أرقى موروث وقاعدة راسخة في الذهنيات البشرية بما تحمله من أبعاد ثقافية تبلورت عبر التاريخ وهذا الموضوع محاولة لفضح وعي جماعي فاسد أي فساد السلطة الممارسة ضد الأنثى في الإصرار على تهميشها وتغييبها وفرض الهيمنة عليها، وكذلك الصراع من أجل تحقيق استمرارية وبقاء الهيمنة الذكورية ووسمها صفة الأبدية .

يطرح هذا الموضوع الإشكالية التالية: ماهي مظاهر وأبعاد الانتقام الذكوري من الآخر في رواية شرفة العار لابراهيم نصر الله ، وحتى نستطيع الالمام بهذا الموضوع استدعى الأمر إلى طرح مجموعة من التساؤلات تمثلت في :

- ماهو الوضع السوسيولوجي للمرأة العربية؟
- ماهي أبعاد الصراع بين الذكورة والأنوثة في الرواية العربية؟
- ماهي أشكال الانتقام الذكوري في الرواية؟

وقد كانت رغبتنا في التغير الاجتماعي الذي من أهدافه التحرير والانتصار لحقوق المرأة المسلوبة ، نتيجة السلطة الذكورية إحدى الأسباب الرئيسية التي دفعتنا للبحث في هذا

الموضوع بما يحمله من صور لوضع المرأة وقمع الذكر لحريتها ، وقد كانت رواية شرفة العار للروائي والشاعر ابراهيم نصر الله خير أنموذج يمثل هذا الموضوع، ذلك أن المجتمع لم يجرد المرأة من حياتها الجنسية فحسب، بل دهاء العقل الذكوري رسم مكانة وجود الأنثى في حياته وقنن تحركاتها بما يمليه مزاجه الذكوري.

انتهجنا في دراستنا لهذا الموضوع خطة اقتضتها طبيعة الموضوع وذلك بتقسيم بحثنا إلى فصلين ، فصل نظري وفصل تطبيقي مدخل ومقدمة وخاتمة ، يحتوي كل فصل على عناوين فرعية، إذ جاء في الفصل الأول تقديم مفهوم الأنوثة والذكورة ، وكما تناولنا عنصر المركزية الذكورية بكل ما اكتسبه من مقومات دينية واجتماعية وثقافية ساعدت على تقوية عماد نظامه .

وخصصنا الفصل الثاني للجانب الذي تمحور حول رواية شرفة العار لابراهيم نصر الله ، من خلال دراسة أهم أبعاد الإنتقام الذكوري ، حيث تعرضنا لدراسة شخصية الجاني روحه الانتقامية ثم الانتقام الأسري وأخيرا مظاهر الانتقام الاجتماعي وأنهينا بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها .

وقد استفدنا في دراستنا من آليات بعض المناهج ، فاعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي في وصف السلطة الذكورية ومأساة المرأة في الرواية العربية .

كما اتبعنا من أجل تحديد أبعاد المركزية الذكورية على آليات النقد الثقافي الذي يحلل النصوص الأدبية انطلاقا من معايير ثقافية واجتماعية ، بعيدا عن الخصائص الجمالية والفنية ويركز على مسائل الهامش وقضايا النسوية .

واعتمدنا في هذا البحث على مصادر ومراجع خدمت هذا المنهج المتبع أهمها : رواية شرفة العار، المرأة في الرواية الجزائرية لصالح مفقودة، والنقد الثقافي تمهيد مبدئي

للمفاهيم الرئيسية لآرثر أيزابرجر وكتب أخرى منها شرق غرب لجورج طرابيشي ، الهيمنة الذكورية لبيار بورديو.

ومن الصعوبات التي اعترضت طريقنا في التعمق أكثر في هذا البحث صعوبة التحليل وفق الآليات المتعددة للنقد الثقافي،خاصة أن الرواية لم تدرس من قبل وفق هذا المنهج .

في الأخير نشكر الأستاذ المشرف على صبره الكبير معنا ودعمه المستمر لنا وسخائه في إمدادنا بالمراجع دون أن ننسى أعضاء لجنة المناقشة.

مدخل
الانتقام من الآخر

طالما حدثنا الصوت النسوي عن دونية المرأة في وعي الآخر ، باعتباره الأقوى و الأقدر الذي احتل دائرة المركز فيما كان لها دائرة الهامش ، ففي عالم تتقاسمه مع الرجل واقعا ومتخيلا راحت تستكشف وتنبش في ذاكرته من أجل إعادة الإعتبار للجسد والهوية ، حيث لم يتوانى هذا الآخر في هضم حقوقها وإذلالها ووأد معنوياتها وتعنيفها قصد "تقزيم الذات الانثوية التي تخجل أمام مصطلحات الجنس على اعتبار أنها مجرد وعاء للذة الجنسية التي .....الرجال ، وهذا ما يدخل في العنف النفسي والحرمان "[1].

ولقد كان للسلطة القاهرة على المرأة نماذج كثيرة منها ما تعلق بالمؤسسة الزوجية التي لم تخلف وراءها سوى ركام من القصور والحرمان ، والعنف الجسدي والنفسي ومنها ماتعلق بالمؤسسة الأسرية (الأب ،الأخ ،العم)التي اغدقت سلطتها وأنانياتها ، أين تضخمت سلطة الانا فيها من أجل انتهاك جسدها ، ظنا منها أنه الأسلوب الأنجح لحماية القطيع من الإفلات ، فالمتعارف عليه دائما أن التذكير مرتبط بالفحولة ، أما التأنيث فمرتبط بالدونية والهامش.

ولعل هذه النماذج إلا صور للمرأة المقهورة النمطية ، والمتضررة من المجتمع الذكوري المحمل بالمتوارث من العادات والتقاليد ، والمبني على المركزية الذكورية التي قامت على مبدأ التفاضل بين الجنسين مستندة في دعواها إلى قيم دينية واجتماعية "فتفضيل الذكورة على الأنوثة لا يعود إلى الطبيعة وإنما إلى الثقافة و القيم الإجتماعية " [2] ، وقد حددت مكانة المرأة في المجتمعات العربية بضوابطأخلاقية صارمة عبرت عليها القبيلة في بداية التشكيلة والعائلة بعد ذلك ثم الجماعة ، وعليه كانت التربية و الأخلاق الأنثوية حديث الجماعات لوزن المكانة الذكورية "le statut masculin " لذا طرح " **الشرف**" في المجتمعات العربية كمؤشر حامل لمكانة الذكر من خلال قوته في إثبات شرفه بين الجماعة .

[1]- لينا عبد الرحمان عبير : تمثلات الأب في الرواية النسوية ،دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ،ط1 ،2007،ص 49 .
[2]- عبد الله ابراهيم :السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الانثوية والجسد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،ط1 ،2001،ص 216 .

فالمرأة بأنوثتها ظلت إشكالية الذهنية العربية مع الزمن يقول " Manicke": ''Ce n'est pas facile d'etre une femme entre l'amour et le metier ,entre l'audace et puis le charme ,la tendresse et la liberté ''

" ليس من السهل أن تكون امرأة بين الحب والمهنة بين الوقاحة ثم الفتنة ، بين الحنان والحرية "[1].

ومن خلال هذا يمكننا القول أن الحضارات الإنسانية ظلت مع الوقت تحمل نماذج تناقضاتها الفكرية والتراثية في ثنايا التاريخ البشري ، محملة الإنسانية مجامع الإعتقادات و الأعراف التي بلورت الرصيد الإرثي لمختلف المجتمعات البشرية ، ومن أهم ماعبرت عليه هذه المعتقدات مسألة " **الشرف** " باختلاف معانيه من مجتمع لآخر ، ونمطية مسايرته للزمن والتأثيرات الفكرية ، بقي الشرف في مسايرته للزمن و التأثيرات الفكرية ،بقي الشرف في المجتمعات العربية ينسج لنا فكرا أجدادنا مع حامليه رافضا في غالب الأحيان النزعات الادية والوضعية التي ظهرت مع مرحلة التصنيع في أوربا ، في كل هذا كانت المرأة معيار هذا المفهوم منذ العصر الجاهلي مسألة "الوأد" وأيضا حتى في العصر الإسلامي ، وإلى عصرنا المعاصر" فالمرأة مرتبطة بالرجل تابعة له ،والمرأة المثلى في نظر الرجل هي الحوراء العين ، الكاعب ، التي لم تستعمل من قبل ، وعلى ذلك فإن من بين الأسباب المؤدية إلى عزوف الرجل عن المرأة كونها قد دنّس شرفها من قبل أي وقعت في الخطيئة، إضافة إلى أسباب أخرى ولعل أهم الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق فقدان الشرف "[2]

لقد شكلت صورة المرأة في العديد من الروايات ، ذلك الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه ولا حتى تمثيلها إلا بالإنطواء تحت الآخر (الرجل) الذي ينظر إليه على أنه

[1] Les trois couples de chanssoncités à différent moments du texte sont pris à la chansson de manicke "je m'envaisje m'envais" dans son disque parole de femme cité au livre"d'Algérie et femme préface Fatima--Mernissi,éditéparl'assocciation Aicha 1994 alger ,page 39

[2]- مفقودة صالح :المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ،بسكرة ، ط2 ، 2009 ، ص 175

شيء من الأشياء الخاصة ، وهو ما ساهم في عبودية المرأة الإجتماعية والإقتصادية والجسدية وبالتالي زجها في الهامش المعتم بحكم هيمنة قيم ومعتقدات وأفكار وسلطات متحيزة تتعامل مع المرأة جسدا ومتعة .

ويلعب المجتمع دورا أساسيا في توظيف أساليب التنشئة والتربية لجعل الفتاة تتدرب على الأنوثة المرتبطة في إطار المفهوم المتداول بالجسد ومستلزماته ووظائفه (الزوجة ، الأخت ، الابنة ...)فهو دور يمنحها منذ الصغر الاعتمادوالاتكالية والسلبية ، فقانون المجتمع في أشد وجوهه قمعا ، منقوش منذ الطفولة على جسد المرأة في حركية هذا الجسد وتعبيراته، ورغباته ، جسد المرأة المختزل إلى بعده الجنسي هو "عورة" يجب أن تستر وتصان وتحمى ، وهو من قبل ذلك ملكية الأسرة ومن ورائها المجتمع ،أسرة الأب في البداية ، ثم أسرة الزوج فيما بعد ، وليس للمرأة سلطة على جسدها (جنايات الشرف تشهد على ذلك بشكل صارخ وفادح)[1] فتتمو مع الفتاة هذه الصفات لتجد نفسها مجبرة على الإمتثال لهذا النمط كي تنجح في أن تصبح امرأة وكلما تمعنت في خدمة الرجل والإهتمام به ، كلما نالت إعجاب المجتمع وبذلك يظهر الرجل الطاهر في أعلى مرتبة مقابل إغفال المرأة التي لا تظهر إلا على أنها جسد مدنس وآثم .

" لقد فرضت الظروف منذ تاريخ بعيد أن تكون المرأة جسدا ،وساعد ذلك على اندثار نفسها وعقلها في طي النسيان وجهل الناس بمرور الزمن أن المرأة يمكن أن يكون لها نفس وعقل كنفس الرجل وعقله " [2]

ولعل هذا ما يفسر دخول المرأة في صراع مع المجتمع الذكوري المهيمن ، لتصرخ في وجهه وتطالب بشرطها الإنساني الحيوي ، وبرفع الظلم والجور على الأنوثة المرة ، في محاولة للكشف عن الجرح وتضميده .

[1]- كولن ويلسن ، أصول الدافع الجنسي ، ترجمة يوسف شرورو ، سهير كتاب ، منشورات دار الآداب ، ط2،اغسطس 1972،ص 225 .
[2]- نوال السعداوي : المرأة والجنس ، المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر ،1982 ،القاهرة ،ج1 ،ط5 ، ص 7

انطلاقا من هذه الفكرة ، سوف نحاول من خلال دراستنا تتبع مشروع المجتمع الرجالي في تغييب المرأة صوتا وفعلا وكيانا ، ومن أجل فرض هيمنته والحفاظ على قوامته التي ظل يصارع من أجلها بشتى الطرق ، وحتى وإن كان ذلك على حساب هدر حقوق كائن يمثل رفيقه ومكمله في الحياة فبالنسبة له الغاية تبرر الوسيلة .

الفصل الأول

الإنــتقام الذكـــوري في الـــرواية العــربية

أولا: الأنوثة والذكورة

1/ الأنوثة والذكورة

2/ الجندر

ثانيا : المركزية الذكورية واستبعاد الآخر

1/ تغييب الذات الأنثوية في التاريخ الإنساني

2/ دونية الذات الأنثوية وتحقيرها

ثالثا : مأساة المرأة في الرواية العربية

1/ المرأة عند أحمد رضا حوحو (غادة أم القرى)

2/ المرأة و محمد حسين هيكل (زينب)

3/ فضيلة الفاروق وتاء الخجل (تاء الخجل)

تعتبر العلاقة بين الرجل والمراة علاقة جدلية حضارية قديمة قدم الإنسان , فلا وجود لمجتمع دون رجل ولا يوجد مجتمع دون امرأة ، لذلك " يغدو مفهوم الرجولة والانوثة مفهوم موجه ليس للعلاقات بين الرجل و المرأة فحسب بل أيضا العلاقات بين الإنسان والعالم" [1] ، فما المقصود بالذكر و الأنثى، والذكورة و الأنوثة ؟ هذا السؤال أشبع من الناحية الفلسفية الكلامية وهي تعاريف ما عادت تصلح لهذا العصر الذي نعيشه, فقد ظهرت العديد من الحقائق و النظريات الحديثة التي تعتمد على أساس علمي قابل للقياس وليس على أساس نظري كلامي فلسفي، وبحسب هذه النظريات فقد تغير مفهوم الذكورة والانوثة, وكلما اكتشفت حقيقة علمية جديدة تغيرت المفاهيم على أساسها، فهناك من اختزل مفهوم الذكورة والانوثة في الجينات وهناك من خصها بالطباع، فهل هي نتيجة لوراثة جين معين أو هي طبع ينطبع به, ام هي طبع يتطبع به؟ أم هي خليط من عناصر مختلفة يصعب علينا أن نفككها ؟

أولاً: الأنـــــــوثة و الذكـــورة

1/ صراع الذكـــورة و الأنــوثة

إذا اعتبرنا العلاقة بين الرجل و المرأة هي علاقة طبيعية يمكن الحديث "عن مبدأ مذكر لدى الرجل وعن مبدأ مؤنث لدى المرأة ولكن عندما نفترض الإيديولوجيا الأبوية أن الإنسان هو المبدأ المذكر في العالم الذي هو المبدأ المؤنث ، وإن علاقته به هي علاقة الرجل بالمرأة " [2] أي أن الإنسان يمثل المذكر والعالم يمثل المؤنث وبطبيعة الحال مادامت هناك علاقة بين الإنسان والعالم فلابد من جود علاقة بين المذكر و المؤنث ، هذه الثنائية التي قام على أساسها الكون واستمرت الحياة بفضلها هي الثنائية الأزلية الهندية

[1] -جورج طرابيشي ،شرق وغرب ، رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ط 4 ،1997 ، ،ص5

[2] -المرجع نفسه، ص 6

الذكر/ المؤنث ، فالاختلافات الدقيقة ، والتي لا نكاد نراها الموجودة بين العناصر الطبيعية والكائنات الحية هي في الحقيقة تلك المعادلة الهامة التي تؤسس للحياة على جه الأرض، إن السر الكبير الذي يدفع بالكائنات جيلا بعد جيل هو الاختلاف الجنسي، أحد أهم الحتميات الضرورية للوجود والطبيعة " فأن تكون طبيعيا هو أن تكون ذا جنس (SECUATE) "[1].

يرى ارثر ايزابرجر A.Aizaberdjer في كتابه النقد الثقافي " أن النوايا في الفكر اليانجي العنصر النسائي الموجود في جميع الرجال وتتمثل البنية العنصر الرجالي الموجود في جميع النساء"[2] أي الإعتراف الصريح بوجود علاقة الرجل و المرأة أو ثنائية الرجولة والانوثة هذه الأخيرة عرفت تطورا وازدهارا عظيمين في الفتح والإستعمار و العنصرية فهي تمثل ثنائية الشرق والغرب في عصور الاستعمار وما بعد الإستعمار" ففضائل الرجولة لم يتغنى بها أحد كما تغنى الأدب الأوروبي الكولونيالي أدب البعثات والحملات والإستكشافات والفتوحات ,وليس من قبيل الصدفة " [3].

أما " إيريغاراي" في كتابها « jàm à toi » فتقول : " الطبيعة...إثنان على الأقل، طبيعة ذكرية وطبيعة انثوية ،هذا التقسيم ليس ثانويا ولا هو خاص بالعرق البشري، إنه يخترق كل عوالم الكائنات الحية التي ما كانت لتوجد بدونه، فبدون الإختلاف الجنسي لا توجد حياة على الأرض ربما يكونان البعدين اللذين لا غنى عنهما لـــــ / إلى الحياة "[4] فالإختلاف الجنسي شرط ضروري ولازم للحياة، وهو الذي يضمن الإستمرار لنا وللملايين من الكائنات الحية الأخرى المرئية والمجهرية.

[1] - نيكول فارمون واخرون، ثنائية الكينونة الاختلاف الجنسي ، تر- عدنان حسن ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،سورية ،ط1، 2004،ص 46.
[2] - أرثر ايزابرجر : النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ،تر- وفاء ابراهيم ورمضان بسطاويسى ،المجلس الأعلى للثقافة، العدد 603، القاهرة،ط1 ،2003، ص 185
[3] جورج طرابيشي ،شرق وغرب ،رجولة وأنوثة ،ص 9
[4]- نيكول فارمون واخرون، ثنائية الكينونة الاختلاف الجنسي، ص194 .

لقد كان من بين المسائل الأكثر حساسية في قضية الإختلاف الجنسي و مدى تأثيره على قدرات الأشخاص –خاصة– ودوره في التحكم بسلوكاتهم ومهاراتهم, وهل يعني الإختلاف الجنسي البيولوجي اختلافا أو بالأحرى أفضلية على مستوى اللغة والتفكير والثقافة ؟.

يرجع أغلبية الباحثين– خاصة في مجالي علم الإجتماع وعلم النفس اختلاف مظاهر السلوك بين الذكر والانثى إلى " تفاعل مجموعة معقدة من العوامل المعقدة والمتشابكة منها :التربية – التنشئة – الوسط الإجتماعي – التكوين البيولوجي– السمات الوراثية– نظام القيم والمعايير، والمعتقدات الأخلاقية والدينية، فقد أثبت علم التشريح أن هرمونات الذكورة والانوثة، السمات الوراثية، نظام القيم والمعايير والمعتقدات الأخلاقية والدينية، فقد أثبت علم التشريح أن هرمونات الذكورة و الأنوثة موجودة في كل من الرجل والمرأة ، لكن نسبة هرمون الأنوثة تزيد في المرأة ، ونسبة هرمون الذكورة تزيد في الرجل وهذه النسب تختلف باختلاف مراحل النمو وباختلاف الأفراد"[1]

فحسب أتباع الرأي اليانجي فإن " عنصر الذكورة هو الصورة الجماعية الموروثة للمرأة الموجودة ، فالصورة التي تكون لدى الرجل عن الرجل بصفة عامة ، وبصفة خاصة الصورة التي لديه عن أمه والتي ستظهر بعد ذلك مع النساء الأخريات ، التي سيقيم الرجل معهن علاقات، ويمكن أن يسبب هذا الأمر بعض المشاكل عندما لا يدرك الرجل أن يعرّض هذه الصورة عن المرأة وبالتالي لن يرى المرأة على النحو الذي عليه المرأة ، وبنفس الأسلوب تعرض النساء صورهن الذكورية عن الرجل" [2] بصفة عامة كل رجل لديه صورة عن المرأة ولديه صورة خاصة عن مرأة معينة مثل الصورة التي لديه عن أمه والعكس فالمرأة لديها صورة عامة عن الرجل وصورة خاصة كالصورة التي لديها عن والدها.

[1] - فؤاد حيدر ، المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1،1992.

في المجتمعات الحديثة يقول أتباع يانج "إن العنصر الأنثوي عادة ما يتأثر إن لم يتكون على يد أم الرجل، فإذا نظر إلى تأثير الأم أنه سلبي يعني هذا أن السمة الأنثوية لشخصية الرجل ستكون مظلمة ولها تأثيراتها الضارة ، ومن ناحية أخرى فإذا كان تأثير الأم إيجابيا فإن العنصر الأنثوي سيعمل على تقوية الإحساس بالرجولة ، وعليه فإن العنصر الأنثوي قد يكون قوة إيجابية أو سلبية وهو ما سيؤدي إلى شخصيات تكاملية متطورة أو مضطربة "[1] بما أنهم يرون أنه في كل إنسان عنصر ذكري أو أنثوي، فإن في الرجل عنصر أنثوي أو يحمل امرأة بداخله، هذه المرأة هي أمه فإذا كان تأثير الأم إيجابيا فإن ذلك العنصر الأنثوي سيعمل على تقوية شخصيته ورجولته، أما إذا كان تأثير ذل العنصر سلبيا فستكون شخصية مظلمة ومضطربة، فالمرأة تؤثر في تكوين شخصية الرجل ورجولته، والرجل يؤثر في المرأة وشخصيتها.

بالإضافة إلى العامل البيولوجي, تتحكم العوامل الإجتماعية و الوراثية و الأخلاقية في تحديد السلوكات بين الذكر والأنثى وتوجيهما، فالإختلاف الجنسي البيولوجي لا يعني منذ البداية فارقا نوعيا في السلوك والتفكير واللغة، ولكنه يكون أرضية هامة ينطلق منها المجتمع ليجعل الإختلاف أكثر بروزا وفاعلية بين الجنسين.

وتميز الدراسات النسائية المعاصرة بين مفهومين متقاربين،يتأسس ثانيهما على الأول ،

هما:الجنس/ sex(e) والجنوسة/ (Gender)،أو ما تعبر عنه ترجمات عربية أخرى ب " الهوية الجنسية " أو "النوع"، أو "الجندر"...من خلال التمييز بين الجنس البيولوجي والجنس البسيكوثقافي" [2]

[1] -آرثر ايزابرجر ،النقد الثقافي ، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ،ص:187

[2]- كريس بولديك ، النقد والنظرية الأدبية منذ 1980 ،تر،خميسي بوغرارة ،منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ،جامعة منتوري قسنطينة،2004،ص 214.

2/ الجندر :Gender

إن الجندرية مصطلح حديث نسبيا ،استخدم أول مرة من قبل "آن أوكلي" ،بدأ استخدامه منذ أكثر من عشر سنوات، وبالرغم من ذلك فإن اللفظ مازال غامضا أو غير مفهوم ،وما يزيد غموضه هو صعوبة ترجمته إلى لغة غير اتي انطلق فيها أي اللغة الإنجليزية.

في عام 1995 تم الإتفاق على ترجمة هذا المصطلح إلى العربية حيث تم اختيار "النوع الإجتماعي "كمرادف لكلمة جندر .

مفهوم الجندر :

يعني لغة :" الجنس المتعلق بمكونات الذكورة و الأنوثة بالدرجة الأولى "[1].

وقد استعير من البيولوجيا "أن الجندر هو الوجه الإجتماعي الثقافي للإنتماء الجنسي"[2].

أو هو "الهوية الجنسية للفرد كذكر أو أنثى كما تحددها الثقافة والمجتمع"[3].

تعرف منظمة الصحة العالمية الجندر بأنه "المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل و المرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها باختلاف العضوية "[4].

تعرف الموسوعة البريطانية الهوية الجندرية "Gender Identity" بأنها شعور الإنسان بنفسه– كذكر أو أنثى – بل تؤثر فيه العوامل النفسية بتشكيل نواة الهوية الجندرية وهي تتغير وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل.

[1] - حمود العودي، النوع الإجتماعي في اليمن ، مركز الدراسات السكانية، جامعة صنعاء ،ص 4.
[2] - عزة بضون ، مدخل إلى تصحيح وضع المرأة في منهج التعليم العام، مقارنة جندرية ، مجلة أبواب، العدد 19 ،ص 128.
[3] - عبده مطلس ، الصورة النمطية والجندر في كتب القراءة والتربية الإجتماعية والوطنية في مرحلة التعليم الاساسي في اليمن ،مركز البحوث التطبيقية والدراسات النسوية ، جامعة صنعاء، 1999،ص6
[4]- نيكوليان وسينار ،إدراج النوع الإجتماعي في منظمة غير حكومية ، النسخة العربية للمعهد الديموقراطي ، دط ، 2007،لبنان ،ص10

"الجندر هو بنية اجتماعية من الأفكار التي تعرف ونظم الإعتقاد والمواقف والصور والقيم والتوقعات للرجل والمرأة ، وهي تسهم بشكل كبير بعلاقات القوة ، ليس فقط بين الرجل والمرأة ، لكن أيضا المجموعات ، وهذا ينتج الكثير من المشاكل الإجتماعية ، الثقافات المختلفة لديها أفكار مختلف حول حول ماهو مناسب للرجل والمرأة القيام به، وما يجب أن يكون عليه ، لا يختلف الجندر من ثقافة لثقافة بل أيضا يمكن أن يتغير مع الوقت أو من الممكن أن يتغير في ثقافة ما خلال وضع أزمة"[1].

أما الباحثة "antoinette fouque" الفرنسية الأصل فقامت بتعريفه بالقول "يعني أن مميزات الرجل و المرأة هي مميزات تتصل بعلاقاتها الإجتماعية تحت تأثير العوامل الإقتصادية والثقافية والايدولوجية، تحدد أدواره وأدوارها ،وتضيف : أنه يجب إقحام المساواة بين الرجل والمرأة في كل السياسات العامة الحكومية منها وغير الحكومية "[2].

ويعرّف أيضا :"أنه عملية دراسة العلاقة المتداخلة بين الرجل والمرأة في المجتمع ، وتحددها وتحكمها عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية ودينية "[3].

أما علاقة النوع الإجتماعي وعلاقته بالجندر فتعود إلى الفشل الذي أصاب مفهوم الجندر في العالم الاسلامي والذي دفع بالمهتمين بقضايا المرأة والجندر إلى تغيير تلك الصورة الشنيعة لهم إلى صورة أحسن مقبولة إلى حد ما داخل المجتمعات الاسلامية ، وكان من أهم قرارات مؤتمر القاهرة عام 1994م إعادة طرح موضوع الجندر من جديد ولكن باسم جديد ولكن مقبول لحد ما هو "النوع الإجتماعي " والذي عرفه الجندريون بقولهم "النوع الإجتماعي لا يتعدى بالنسبة لكثير من المهتمين والمعجبين بالجندر أكثر من مجرد ترجمة لكلمة الجندر الإنجليزية أو مجرد غطاء شكلي للستر على ما قد لحق بمفهوم الجندر من

[1] -الجماعة الدولية للمصالحة، برنامج النساء صانعات الأحلام ، ينظر :http:www.ifor.org/wpp/index.html و أيضا : http:www.womanfor peaceandjustice.org

[2] - حلي الراوي، موازنة النوع الإجتماعي في مصر، مرصد الموازنة العامة وحقوق الإنسان ،2009،ص 13

[3] - عبد الرحمان أبو شمالة ، مسرد ومفاهيم ومصطلحات النوع الإجتماعي ، منشورات المفتاح ،دط ،2006 ،ص9

سوء السمعة في المنطقة العربية والإسلامية بالذات[1]

وبصورة عامة فإن كلمة (Gender) و ((sex(e) لهما نفس المعنى ذكر/أنثى ولكن كلمة ((sex(e) تستعمل للحديث عن كل ما يتعلق بالفروق البيولوجية في حين تستعمل كلمة جندر لدراسة الجنس المعين من زاوية الفروق الثقافية والإجتماعية .وهذا ما ذهب إليه فريق من الجندريين المعتدلين الذين حاولوا إزالة السمعة السيئة عن الجندر وقسموا مفهوم النوع إلى قسمين :

النـــــوع البيولوجي:وهو يعني المعنى اللغوي والموضوعي للذكورة والانوثة، وهذا النوع هو الذي يمكن تمييز الرجل عن المرأة باختلاف الخواص البيولوجية لكل منها .

النـــوع الاجتمـــــاعي: وهو الأدوار والوظائف الإجتماعية التي لا علاقة لها بالنوع البيولوجي، وهذا هو الذي يجب عدم التمييز بين الرجال والنساء فيه فهم متحدون تماما فبإمكان الرجل أن يقوم بجميع أدوار المرأة الاجتاعية والمرأة تقوم بجميع أدوار الرجل الإجتماعي دون استثناء .

لقد قامت نظرية الجندر على هدم المفهوم السائد في الماضي وهو أن الخواص البيولوجية الجينية لكل من الرجل(xy) والمرأة (xx) هي الفيصل الوحيد في تحديد الأدوار التي يقوم بهما كل منهما في مجتمعه ،وهي المحدد الوحيد لمستوى التفكير والتطور ، فنظرية الجندر تهدف بالمقام الاول إلى إيجاد مفهوم أكثر شمولية يحتوي على المعتقدات الواعية أو تلك التي في العقل الباطني والتي يؤمن بها أفراد مجتمع ما عن الخصائص، المميزات ،والقدرات التي يمتلكها كل من الرجل والمرأة ، والتي تؤدي بالتالي إلى تقسيم أدوار كل منهما في عملية التنمية الإقتصادية و الإجتماعية ،والتي تختلف اختلافا كبيرا باختلاف المجتمعات والحضارات والبيئات .

[1] - علي عبد الله العرادي ، مفهوم الجندرة وصحة الامومة ،قسم البحوث والدراسات ،دراسة شؤون اللجان والبحوث ،2012،ص09.

ثانيا : الــمركزية الذكـــــورية واستبعاد الآخـــــر

تقوم الهيمنة الذّكورية التي تقوم بصفة كلية أو شبه كلية على سلطة الرّجل بتشكيل نظرة تعيد تشغيل نفس السّلطة والاعتراف بها من طرف الرّجال والنّساء على حد سواء ،فالذكر يعيد ممارسة هذه السّلطة بشكل ضمني أو صريح ، وتعترف الأنثى كذلك أو تخضع لهذه السّلطة بشكل واع أو غير واع ، ذلك أنها المنطق الوحيد المعتاد والمتعود عليه ، بل أحيانا تعاش السّلطة المفروضة على النّساء كجزء من الأنوثة نفسها ، والمعروف عن النّساء القيام بما هو منتظر دون تلقي الإشارة.

وقد سيطر النّظام الأبوي على الأنثى وقام باضطهادها ونفي وجودها الاجتماعي فكانت الهيمنة والغلبة للرّجل لكونه يرى المرأة أقل منه، فكانت الأنثى ضحية المجتمع الأبوي البطريركي الذي قنن قيما وأعرافا وتقاليدا جعلت المرأة تعاني من الدّونية، وهو ما جعل المرأة مضطهدة ومن يضطهد ها هو الرجل.[1]، حيث شكلت المرأة في العقلية الذّكورية المهيمنة الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه، ولا تمثيلها إلا بالانطواء تحت رحمة الآخر الذي ينظر إليه على أنه شيء من الأشياء الخاصة، وهو ماساهم في عبودية المرأة الجسدية أو الاقتصادية والأسرية وبالتالي زجها على الهامش المعتم بحكم هيمنة قيم ومعتقدات وأفكار وسلطات متحيزة تتعامل مع المرأة جسدا ومتعة.

[1]-ابراهيم الحيدري ,الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة ,مجلة أوراق سوسيولوجية,ع3,ص13

1/ تغييب الذّات الأنثوية في التّاريخ الإنساني

لا نبالغ كثيرا اذا قلنا أن حضور المرأة في التّاريخ هو حضور ضعيف, فهذا الأخير هو تاريخ ذكوري بالأساس, فقد عنى الجنس الأنثوي من الدّونية والاحتقار في العديد من الحضارات القديمة منها الحضارة اليونانية التي لم تحظى فيها الجنس الأنثوي بالمقام الذي حضي به الرجل[1], من حقوق سياسية وسلوك اجتماعية, حيث عدت الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه.

يذهب إمام عبدالفتاح أن أصل نظرة الكثيرين للمرأة تعود إلى الفلاسفة اليونان فيقول: " إن الصّورة السّيئة عن المرأة, الشّائعة بيننا هي التي رسمها الفيلسوف منذ بداية الفلسفة في بلاد اليونان, ثم وجدت عندنا أرضا خصبة حيث أنها ارتدت ثوبا دينيا, وأصبحت فكرة مقدسة وهذا ظاهر عند عمالقة الفكر اليوناني سقراط, أفلاطون, وأرسطو الذين أصبحت فكرتهم جزء من التراث الفلسفي "[2].

لقد كانت المجتمعات القديمة مجتمعات بطريركية تقدس الذّكر وتجعله يحظى بامتيازات جمة تخول له أفعال وسلوكات دون الأنثى, "حيث يقوم على امتهان المرأة أو تهميشها أو عدم الاعتراف بحقوقها" [3],فعمد الفلاسفة على التّقليل من شأن النّساء والسّخرية منهن زمنا طويلا حيث نجد منهم أفلاطون الذي ميز بين الرّجل والمرأة فوصفها في مرتبة أدنى من الرّجل في قوله: " أن المرأة قادرة بطبيعتها على كل الوظائف وكذلك الرّجل وإن تكن المرأة في كل شيء أدنى من الرجل"[4].وقد عبر كولكون عن ضعف الأنثى في محاوراته لسقراط بقوله: " أنّهم يتقاسمون العمل بالتّساوي, والفرق الوحيد بينهم أن الذّكور يعتبرون الأقوى والاناث الأضعف"[5].

---

[1]- صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ،بسكرة،الجزائر،ط2 ،2009، ص27

[2]- امام عبدالفتاح :أفلاطون والمرأة, مكتبة القاهرة, مصر,1996, ط2, ص5

3- رياض القرشي :النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب ,دار حضر موت للدراسات والنشر ,المكلاء ,اليمن,ط,1,2008

[4]- أفلاطون :الجمهورية ,تر, شوقي داود تمراز , الأهلية للنشر ,بيروت ,لبنان ,1994,ص12

[5]- أفلاطون :الجمهورية ,ص 226

صنفت المرأة ضمن الأشياء المملوكة والخاصة, ولفظ الملكية مستعملة بكثرة عند اليونان, إذ لطالما عدت المرأة ملكية خاصة للرجل, يختص بها دون غيره في أعراف اليونان وقوانينهم, حيث يقول أفلاطون لطالما كان لكل منا نساء وأطفال ومنازل وغير ذلك من الأشياء التي يمتلكها الأفراد ملكية خاصة ,وهو هنا يجعل المرأة داخلة في الممتلكات الخاصة للرجل, فعندما أراد تحريرها من الذّل جعلها ملكا للرجال ,وقد ترسخت هذه الفكرة في الذّهنيات وحتى عند المرأة نفسها التي أصبحت تؤمن بتبعيتها وقصورها عن الرّجل.

لا يقل أفلاطون سوءا عن اخوته الفلاسفة في تعبيره عن المرأة ,بل قد نزل بالمرأة الى أسفل الدّرجات حتى "غدت ملكا للجميع ودائما يصنفها في حديثه مع العبيد و الأطفال والأشرار والمجانين من الرّجال أو مع الحيوانات والقطيع "[1], فكانت المرأة الكائن الذي بلا قيمة ولا كرامة عنده ,ونجد هذه الرّؤية عند أرسطو أيضا فهو " قد قام باستبعاده لفئات معينة من المجتمع من ممارسة التّفلسف ,وهما العبيد والنّساء ,عندما نضر الى هاتين الفئتين على أنهما شكل من أشكال الملكية للرّجل السّيد "[2]وجعل المرأة مستبعدة تماما من مجالات الحياة العامة , فقد وجدت النّساء فقط بهدف المحافظة على استقرار الأسرة وأمنها ,وانجاب الورثة الشّرعيين وتربيتهم "[3],وفوق ذلك اعتبرت المرأة هي المسؤولة عن التّشوهات الموجودة في الطّبيعة ,ودونيتها ترجع إلى أنها مجرد "هيولى" , فهي لا تساهم في عملية الإنجاب سوى بالمادة الخام ,في حين أن الذّكر هو الموجود الأعلى ,لأنه الصّورة أو العقل والجوهر, أو الرّوح التي تبعث الحياة في هذه المادة الميتة الأنثى ,وفي هذا الصدد يقول أرسطو:" ينبغي علينا أن ننظر إلى الأنثى على أنها تشوه خلقي ,أو أنها موجود مشوه إن صح التعبير ,وهو ما يفسر ظهور هذه المخلوقات الشّاذة ّالشّائعة في الطّبيعة بسبب الانحراف الأول عندما تشكلت الأنثى بدلا من الذّكر وهكذا نجد أن

[1] - حنان التميمي :مفهوم المرأة بين نص التنزيل وتأويل المفسرين ,www.arabicianguistic.net,شبكة اللغويات العربية ,2009,يوم الجمعة 2017/04/07,الساعة 10:00

[2] - عطيات ابو السعود :نتشيه والنزعة الأنثوية ,مجلة فصول ,عدد65,2004,ص38

[3]- ليلى محمد بلخير :خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية,ص37

الانحراف الأول في الطّبيعة هو الذي أنشأ بدلا من الذكر , فالطّبيعة لا تصنع النّساء إلا عندما تعجز عن صنع الرّجال ".[1]

فقوانين الطّبيعة حكمت على المرأة بأن تكون أدنى مرتبة من الرّجل , ولما كان العرف اليوناني قد جرى "على ان تكون المرأة هي الأدنى وهي المحكومة ,وهي التي تطيع لهذا كانت هي المادة أو الهيولى , وكان الرّجل هو الصّورة والرّوح والمبدأ العقلي ,وهكذا يصل أرسطو إلى نتيجة تقول أن الذّكر هو الإيجابي الذي يبعث الحركة ويهب الحياة ".[2] وهو ما جعل المرأة أدنى من حيث المرتبة والمكانة ,معزولة تماما عن ميدان السّياسة ومستبعدة عن ميدان الثّقافة بصورة عامة ,وليس بإمكانها ممارسة فضائل الرّجل .[3]

وقد أولى للرجل قيمة على المرأة حيث أعلى أرسطو من شأنه في عملية الإنجاب فهو :"جعل من الذّكورة الصّورة ,ومن الأنثى المادة أو الهيولى ,وبالتالي فالذّكر هو الإيجابي النّشط الذي يبعث الحركة والحياة في المادة ,أما الأنثى فيقتصر دورها على تقديم سائل الطمث "[4],فبرأيه أنه ليس في استطاعة المرأة أن تعرف شيئا عن طبيعتها ,لأن عقلها لا يستوعب هذه الدراسة وليس لها القدرة على تحمل المسائل النّظرية أو فهمها ,لذا فإن فضيلة الرّجل الأساسية هي أن يسيطر على المرأة .

إن قوة النّظام الذّكوري تتراءى فيه أمرا يستغني عن التّبرير, ذلك أن مركزية الذّكورة تفرض نفسها كأنها محايدة وإنها ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها في خطب تهدف إلى شرعنتها , والنّظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذّكورية التي يتأسس عليها ,وإن التّقسيم الجنسي للعمل والتّوزيع الصّارم

[1] -سعاد طبوش :النقد النسوي والأيديولوجيا من اضطراب المفهوم غلى خصوصية التنظير ,مذكرة ماجستير ,جامعة فرحات عباس ,(سطيف),الجزائر ,2009 ,ص14.
[2] - إمام عبدالفتاح إمام :أرسطو والمرأة ,مكتبة مدبولي ,القاهرة1996,ص65.
[3] - المرجع نفسه, ص54.
[4] - أرسطو :المجموعة الكاملة ,أجزاء الحيوان ,تر ,يوحنا البطريق ,مطبوعات الكويت (د ط) (د س),ص218.

جدا للنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنس لمكانه وزمنه وأدواته ,إنها في بنية الفضاء مع التّعارض من مكان التّجمع أو السّوق المخصصة للرجال أو المنزل المخصص للنساء .[1]

فالبرنامج نفسه هو الذي يبني الاختلاف بين الجنسين البيولوجيين وفق مبادئ رؤية أسطورية العالم المتجذرة في العلاقة الاعتباطية لهيمنة الرّجال على المرأة , فالرّجولة بمظهرها الايتيقي نفسه تعتبر ماهية القوة والسّيطرة والتّسلط والعنف والطّبيعة نفسها تفرض الهيمنة الشّرعية لمبدأ الذّكورة , فنجد أن هذا الذّكر دائما يتمتع بالسلطة والهيمنة , فيما تكون النساء غير مسموح لهن بالمشاركة في أي مناسبة.[2]

[1] - بيار بورديو, الهيمنة الذكورية , تر:د سليمان قعفراني ,بيروت ,ط1,س2009,ص27.
[2] - المرجع نفسه ,ص40.

2/ دونيـــــة الـــــذّات الأنـــــثوية وتحـــقيـــــرها

لقد كانت هناك صورة واضحة عن الوضعية المتدنية التي كانت تعيشها المرأة في ظل المجتمعات الذّكورية ,وهي صورة دعمها تفسير الخلق القائم على أن حواء تابعة وأدنى شانا , ثم أن المجتمعات البشرية بما تفرضه من أدوار على كل من الرّجل والمرأة ,[1]وبما تحتفظ به هذه المجتمعات من تصورات سلبية عن المرأة "، فالأنثى حسب أرسطو انثى تفتقر إلى خصائص (ذكورية طبعا) ذلك أن الصّفة الخاصة بالرّجل تنقصها ,وهي الصّفة الوحيدة الممكنة ,فالمرأة هي النّسخة السّلبية للرجل "[2],ونجد هذه النّظرة أيضا عند الفرس الذين قرروا بعد جدال أن المرأة إنسان إلا أنها خلقت للذل والهوان ولتكون تحت أمر الرّجل ونهيه يتصرف فيها تصرفه في السّلعة , وله أن يحكم عليها بالموت [3]فالرجل يتصرف في المرأة كما يتصرف في الرّقيق والحيوان فهذه السّلطة سلطة ملك لا حماية , فهي تشمل النّفي والقتل والتّعذيب , ولقد تغلغلت الصّورة الدّونية حتى صارت من البديهيات , هي بذاتها لا تعارضها .

هناك تماثل جذري في تقويم النّشاطات الذّكورية والأنثوية ,وذلك على أن الرّجل لا يستطيع أن يقوم ببعض المهمات المعينة اجتماعيا على انها سفلية من دون ان يحط من قدر نفسه ,والمهمات ذاتها يمكن أن تكون نبيلة وصعبة عندما يقوم بها الرّجال , أو لا معنى لها ولا محسوسة وتافهة حين تنجزها النّساء .

تتضح معالم التّحيز الذّكوري ضد المرأة في التّاريخ البشري لتتحول إلى مبررات منطقية للبحث عن الكينونة المعيبة عن موقع الفعل ,لتأخذ صورا وأشكالا مختلفة للخروج من سمات لصقت بشخصيتها ,فهي المرأة الغواية , الشر ,الخيانة ,الغدر, ويتجلى ذلك في خلفية الأساطير والخرافات التي جاءت برسم مشوه لصورة المرأة .[4] ونلحظ هذا بالعودة

[1] - سعاد طبوش : النقد النسوي والإيديولوجيا من اضطراب المفهوم الى خصوصية التنظير, ص13.
[2] - المصدر نفسه , ص13.
[3] - صفاء عوني حسين عاشور :قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري , رسالة ماجستير ,الجامعة الاسلامية ,غزة ,2005,ص215.
[4] - ليلى محمد بلخير :خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية ,ص37.

إلى أشهر النّماذج الأسطورية القديمة حيث عدت فيها المرأة مصدر للغواية والسحر والشّر فتجد هذا في " جلجامش " التي تعد النّص الملحمي الأقدم حيث قدمت فيها شخصية عشتار امرأة فاتنة ,تمارس الغدر والخيانة مما جعل الرّجال يحذرونها وبدت عشتار السّبب في الموت ,الذي قلب حياة "جلجامش" بأكملها فقرر خوض حياته العجائبية بحثا عن سر الخلود.[1]

نجد من بين الفلاسفة الغربيين المحدثين من تجذرت لديهم الصورة الأزلية لدونية المرأة الفيلسوف **جون جاك روسو** صاحب الأفكار التّحررية والعقد الاجتماعي ,فيرى أن الانسان يولد حرا مع أنه مكبلا بالأغلال , وهذا الحديث كله ينصب على الرّجال دون المرأة التي ولدت لتكون مكبلة بأغلال الرّجل وقيوده.

حافظ روسو على التّراث الطّويل الذي يرتد إلى أرسطو لكونه يعرف المرأة ذو طبيعة تختلف عن طبيعة الرّجل من منظور وظيفتها وهي الوظيفة الجنسية والوظيفة البيولوجية أي الإنجاب.[2]

ونجد العديد من النّقاد وضعوا تعريفات للمرأة نذكر منها :

جون جاك روسو الذي يقول في تعريفه للمرأة "هي جزء من الطّبيعة والمفروض في تربيتها أن تعهدها لكي تكون السّند المعنوي للرجل وخادمته دون أن تكون لها ارادة خاصة بها ",وفي موضع آخر يقول "وأنه طبقا للطبيعة فإن على المرأة أن تطيع الرّجل "[3]فطبيعة المرأة حسب روسو هي من قللت من شأنها وجعلتها ترضخ للعادات والتقاليد , ويتجلى في فلسفة روسو الامتداد الواضح إلى فلسفة أرسطو حيث لا تدخل المرأة في

[1] - طه باقر : جلجامش ,أوديسة العراق الخالدة ,وزارة الثقافة والاعلام ,بغداد 1979,ص73.
[2] - سوزان موللر اوكين : النساء في الفكر السياسي الغربي ,ص132.
[3] - المرجع نفسه,ص154.

إطار المواطنة عنده , حيث ينتظر المجتمع الغربي من المرأة أن تكون وديعة تتقبل أي شيء سلبية وعاطفية, لا عقلانية ,حدسية ,ذاتية ,حساسة وحنونة ,لا تهاجم ولا تنافس.[1]

فريدريك نتشيه لا يكاد يختلف عن جون جاك روسو في حقده وتهميشه للمرأة ويعود هذا لوقع تجربته العاطفية المخيبة مع "**لو سالومي**" التي خذلته ,فحقد من خلالها على النّساء كلهن , مما يمكن أن تلمسه في أقواله الكثيرة الموجودة في أغلب كتاباته ,ومنها ما جاء في كتابه "**ما وراء الخير والشر** ",حيث يقول "المرأة من دون شعور لا يلعب الحب أو الحقد دورا في أن تكون المرأة فائزة .[2]أي أن المرأة لا تستطيع إخفاء غريزتها وشهوتها وغير قادرة أو هي مقصاه من التّفكير العلمي في تفكيره لأنه يخدش حياءها.

أعاد نتشيه صورة الفكر والثّقافة المتشبعة باستصغار كل ما هو أنثوي محولا تحليل الطّبيعة الأنثوية ,فيرى المرأة لا تحب الرّجل لذاته ,بل تحبه لأجل الأمومة , فهو وسيلة لأجل الحصول على غاية أي الطفل ,حيث حصر الطّبيعة الأنثوية في المهمة البيولوجية وصرفها عن أي إنتاج فكري وجعلها مجرد تابع وموافق لطبيعة الرجل وإرادته .[3]

ولنتشه بعض الأقوال الأخرى عن المرأة التي خصها في كتابه الأشهر " هكذا تكلمت زرادشت" وهو يرى "أن المرأة ماتزال غير قادرة على الصّداقة ,قططا ماتزال النّساء وعصافير ,أو في أحسن الأحوال أبقارا "[4],دون أن ننسى مقولته الشّهيرة ,التي أخذت تسري مسرى الأمثال : "إذا ذهبت إلى النساء فلا تنسى السّوط " وطبعا دلالة السّوط بعيدة عن معنى التّعذيب والضّرب وإنما يقصد بها البعد الرّمزي للسوط أي إخضاعها لرغباته , وعدم ترك الفرصة للتغلب عليه.[5]

[1] - رياض القرشي : النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب ,ص61.
[2] - فريدريك نتشه : ما وراء الخير والشر ,تباشير فلسفة للمستقبل ,دار الفارابي ,بيروت ,(د ط),ص114.
[3] - ليلى محمد بلخير : خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية , ص39.
[4] - فريدريك نتشيه : هكذا تكلمت زرادشت , تر , علي مصباح, منشورات الجمل ,بغداد , ط1,2007,ص 118.
[5] - ليلى محمد بلخير : المرجع السابق , ص 40.

ثالثا : مـــأســـــــاة الـــــمرأة في الـــرّواية الـــعـــربية

الكاتب ابن بيئته ومجتمعه ، يتفاعل مع كل ما يحدث فيه ويحدث له والمرأة إحدى مكونات هذا المجتمع ، وهذه البيئة . ومن الطبيعي أن تحتل المرأة هذه الأهمية ومساحة كبيرة في أعماله الروائية .

من هنا كان موضوع المرأة في ميدان الأدب من أهم المواضيع المطروحة فهو قضية قديمة شغلت بال جميع المجتمعات كغيرها من المشاكل الإجتماعية، كالتخلف ، والظلم ، والإحتقار، فقضية المرأة تضاربت فيها الأراء ،فهناك من انتصر للمرأة وجعلها شريكة للرجل ، ومشاركة له في الحياة من باب المساواة، وهناك من رفض هذا الطرح ، وقصر مهامها في الإنجاب والإلتزام في البيت ، ومن هنا تصدى الأدباء لهذا الطرح ، وراحو يعالجونه في كتاباتهم الادبية الإبداعية ، وهذا ما أكد عليه الدكتور صالح مفقودة "أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء ولوحات الرسامين ، تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الإشهار والافلام (...) والمرأة في الرواية العربية تحتل نصيب أوفر وكذلك الشأن في الدراسات الأدبية والإجتماعية"[1] .

وقد تبارى الكتاب في رسمها في أجمل صورة وأحسنها وتنافسوا في تصويرها بأجمل الأوصاف كأنهم ينحتون تمثالا جميلا ذلك أن المرأة نصف المجتمع وهي الاداة الفاعلة فيه وأساس قيام هذا الصرح العالي ،لكن الحقيقة ان المرأة العربية في الغالب هي المرأة المقهورة ، السلبية ، المتلقية ، الخاضعة للهيمنة الذكورية ، فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة ،وهذا القمع يتراوح بين العادات والتقاليد ،وظروف المجتمع وأنماطه في التعامل ،لهذا حاولت المرأة الخروج من هذه الصورة التي شكلها لها المجتمع وأبقاها

[1] صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ،بسكرة،الجزائر،ط2 ،2009،ص10 .

فيها ، لتثبت للرجل أنها امرأة انسانة وليست اداة للمتعة ، مجرد جسد ينظر إليها بشهوة بل هي شريكته ولها شخصية وحياة وحرية .

والسؤال الذي نصل إليه من خلال ما تقدم هو كيف تجسدت المرأة في الاعمال الروائية الأدبية وكيف طرحها الكتاب ، وهل صورها في صورتها المعهودة التي تعاني من أوضاع اجتماعية ونفسية مأساوية أم تغيرت هذه الصورة النمطية التقليدية ؟

1- صورة المرأة عند أحمد رضا حوحو (غادة أم القرى):

تعد قصة غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو من أهم مؤلفاته التي تناول فيها قضية المرأة حيث وبعد قراءة القصة نجد أنها تتناول قضية المرأة العربية في الحجاز وما تعانيه من حرمان في الحب والعطف والعلم ورفاهية الحياة ، فقد اختار حوحو هذه القصة لكي يهديها إلى المرأة العربية في الجزائر التي لا تختلف عنها في أوضاعها ، فالقصة وإن لم تكن واقعية بأحداثها وشخصياتها فإنها مستوحاة من عالم محسوس في ذلك الوسط المحبوس في تقاليده وأعرافه المتوارثة من أحط عصور الجاهلية والجمود خاصة اديبنا امضى جزء من شبابه في هذا الوسط.

فإذا تمعنا النظر من خلال كتاباته سنجد موضوعها يدور حول محاولة اصلاح بعض العادات الفاسدة المتواطئ عليها من طرف الشعب ، والثورة على واقع كبله الجهل والخرافة وأور اعاقتى العقل العربي و أماتت فيه سمة الإبداع.

فمن خلال هذه القصة صور لنا الأديب معاناة المرأة الحجازية ولفت الأنظار إلى المرأة الجزائرية بأنها معنية بهذا الأمر يهمشها خارج دينها ،لكونها تعان نفس معاناة المرأة الحجازية لوجود المشترك الجامع بينهما وهو حرمانها من حقوقها ، وهذا يدل على أن الجهل الذي كان سائدا في بلاد الحجاز ليس له علاقة بالإسلام الذي أعطى للمرأة كامل حقوقها ، كما يدل على ان الإحتلال الفرنسي للجزائر هو من عمل على توظيف الجهل

على المجتمع الجزائري الذي غرس فيه الأمية الثقافية والحضارية قصد تنويمه وإدخاله في سراديب مظلمة من الجهل ، كما تناول أيضا عن دور كل من الرجل والمرأة وهي صورة قاتمة تشوه مقاصد الإسلام وشرائعه ، وهذا ما ساهم في رسم صورة غير صحيحة عن الإسلام ، بحيث صار المتعارف عليه بين الناس هو مالم يأت به الدين الإسلامي، وهي الحال نفسها التي كان عليها المجتمع الجزائري أثناء الإحتلال الفرنسي ، و مازالت قائمة حتى الآن كإرث فرنسي ، فلم يتحرر منه المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا فلذلك كانت قصة غادة أم القرى مهداة إلى بنت الجزائر حيث خاطبها قائلا :" إلى تلك التي تعيش محرومة من الحب ... من نعمة العلم ... من نعمة الحرية ، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدّم هذه القصة تعزية وسلوى"

2- المـــــرأة عند محـــــمد حســين هيكــل (زينب)

الموضوع الأساس في رواية زينب هو وصف الريف بطبيعته وعاداته وأخلاقه مع التركيز على موضوع الحب والزواج ، وذلك من خلال الحديث عن إحدى العاملات في الفلاحة ، والتي تدعى زينب ، هذه التي يتم تزويجها لحسن ، ولكنها لم تقتنع إطلاقا بهذه الزيجة ، فقد أحبت شخصا آخر هو إبراهيم الذي يسافر لأداء الخدمة الوطنية العسكرية .

وفي الرواية حديث عن حامد الذي أحب ابنة عمه عزيزة لكنه لم يظفر بها ، كما لم يظفر بزينب ،فتأزم وضعه ، واختفى من الحياة العامة ، أما زينب فإنها تمرض بمرض السل وتموت في نهاية الرواية ، وقبل موتها توصي أمها بعدم تزويج إخوتها غصبا عنهم وتحمل الأبوين مسؤولية ماهي فيه .

إذن فالرواية تعالج قضية العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتحكم الجمعية (المجتمع) في هذه العلاقة ، مما يؤدي إلى أزمة بالنسبة لشخوص القصة ، ويدعو الكاتب من خلال وصية زينب إلى ترك الحرية للشباب ، وعدم إجباره على ربط علاقة خارج إرادته .

إن مجرد التطرق لموضوع الحب ، والعلاقة بين الرجل والمرأة بهذه الكيفية يعد جرأة كبيرة من الكاتب هيكل ، يقول يحي حقي : " ولعمري أنها كانت جرأة بالغة منه ، فلم يكن المجتمع يطيق الإعتراف بشرعية العاطفة أو الخوض في التحدث عنها "[1].

وقد يكون لتفتح الكاتب على الثقافة الاوروبية الدور الأكبر في معالجة هذه المعضلة المتفشية في المجتمع المصري ، وفي الريف بصورة خاصة ، مما يحيل حياة الشاب إلى جحيم لا يطاق .

3/ فضيـــــلة فـــــاروق وتـــــاء الخــجل :

في روايتها تاء الخجل تعالج الروائية فعل الخطف والاغتصاب الذي أصبح استيراتيجية حربية عند الجماعات المسلحة في الجزائر سنوات التسعينات ،فتدين التواطئ والصمت الذي تتبناه كل الجهات ، بداية بالدولة والقانون والدين وصولا إلى الأهل والمقربين الذين يتنكرون لبناتهم ويرفضون استقبالهن لأنهن يمثلن العار بالنسبة لهم ، ليلجأن إلى الانتحار أو يصبن بالجنون أو يرتمين في حضن الدعارة. ولذا لم يكن من المصادفة أن تنتهي رواية فضيلة الفاروق برحيل البطلة التي لم يعد لها مكان في الوطن الذي تحول إلى مقبرة ، خصوصا بعد أن استقر في وعيها أن البقاء يعني الانتحار .

اتسمت رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق بالعنف ،فهي تصور لنا في هذه الرواية فضاء الجنية وما يلاحقه من معاناة والام وقهر ،والأسرة بوصفها كيانا مغمورا بالمتناقضات والخلافات ففيها تتكرس السلطة الذكورية الأبوية كنموذج أول يتمثل من خلال العنف ضد أحد أفراد أسرته زوجة كانت أم بنت من أجل عدم المحافظة على كيان الأسرة .

رواية تاء الخجل ،العنوان يحمل كلمة تاء وهي من أصل الأنثى وهذا الحرف الأبجدي يمثل صندوقا مغلقا على الذات الأنثوية التي تشكل دال الجنس والإنفراد التي تطمح للتحرر والكشف[2].

---

[1]- يحي حقي:فجر القصة المصرية مع ست دراسات أخرى عن نفس المرحلة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر، 1987 ، ص 48

[2] - ينظر أقطي نوال : الخطاب الأنثوي في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق من التجاوز إلى النمطية إلى الثبات الوجود، مجلة المخبر ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،ع6 ،2010 ،ص2 .

وفي هذه الرواية حاولت الكاتبة أن تجسد لنا أشكالا مختلفة من العنف ضد المرأة ،إذ نجدها جعلت من العنف صورة عاكسة للواقع ، وما يحمله من مواقف مأساوية ومتناقضات أي ماتعاني منه المرأة بتعرضها لأبشع أشكال العنف .هو عنف يمثل انتهاكا للقيم الثقافية والدينية الصادرة عن السلطة الذكورية اتي أعلت من قيمة الرجل ، وعاملت المرأة بدونية وما خلفه الرجل من معاناة مما أفقدها دورها في الأسرة خاصة والمجتمع عامة مما جعل للرجل يحمل مشعلا في ممارسة العنف ضد المرأة ،فيجعلها تعاني وتشعر بالحقد والحقارة والحرمان تجاهه ،هذا ما جعل الروائية فضيلة الفاروق حريصة كل الحرص أن تقوم على معاينة الواقع الإجتماعي الجزائري خاصة ما تتعرض له المرأة من قهر وظلم وضيق ووجع ،ورميها على هامش الحياة وما شابه ذلك .

الفصل الثاني

مظاهر الإنــتقام الذكـــوري في رواية شرفة العار

أولا: شخصية الجاني والروح الإنتقامية

1/ شخصية الجاني (يونس)

2/ سلطة الأخ (أمين)

ثانيا : إدانة الأهل والإنتقام الأسري

1/صورة الأب والحماية الذكورية

2/ الشخصية البطريركية للعم

ثالثا : مظاهر الإنتقام الإجتماعي

1/ المجتمع والعقاب الجماعي

2/تحالف السلطة الذكورية مع سلطة القانون

تعتبر قضايا الشرف من الظواهر الإجتماعية التي تتفاعل في انتشارها عبر المجتمع العربي بصمت دون أي رادع لها قانونيا أو اجتماعيا ، وفق ما يمارس من جرائم قتل بحق النساء ضمن مآرب الشرف والعرض الذي يشكل هاجس أساسي للعديد من الذكور في ظل مجتمع ذكوري عشائري ،ولعلنا هنا ندرك حجم المعاناة التي تعيشها المرأة من جراء هذه الأمور التي تسلب حقها و إرادتها ، وتجعلها عنصرا مكبوتا نفسيا وجنسيا وسلوكيا ،خوفا من السلوكات المعنفة التي تمارس عليها ، لمجرد الشك بسلوك انحرافي وقع بحقها .

ورغم أهمية قضية الشرف الممارس في العنصر الثقافي لدى المجتمع العربي إلا أننا نجد أن حجم هذه القضية تتفاوت من بلد لآخر ومن بيئة لأخرى ضمن البلد الواحد تبعا لشكل العادات والتقاليد وشكل التركيبة الطبقية البشرية للمواطنين ، بحيث اننا نلاحظ كلما كان المجتمع عشائريا ، كلما ازدادت نسبة حدوث الجرائم المرتكبة بحق النساء في إطار قضية الشرف والعكس هو الصحيح. إلا اننا رغم هذا السلوك المعنف بحق النساء نجد له الحماية القانونية والتشريعية التي تخفف الحكم عن المرتكب لمثل هذه الجرائم ، تحت ذريعة حماية وصون شرفه من العار ، وغسل عار عائلته بدم الفتاة المجني عليها ، دون أي نظرة قانونية ترأف بحالة المغدورة ، تحت ذريعة الأعراف والتقاليد الموروثة ، ولعل هذه النظرة الناقصة للمرأة هي ما جعلت المجتمع ينظر إليها بنظرة التسلط والتملك والترأس وجعلت الرجل يفرض سلطته عليها حتى يمارس عليها دور الحاكم المستبد وسلطته الذكورية .

لقد كانت هناك العديد من المحاولات الادبية التي تطرقت لموضوع المرأة وشرفها ولعل الشاعر و الروائي **إبراهيم نصر الله** احدهم ، هذا الاخير استطاع بأسلوبه الخاص الممتع والسلس ،وسرده المحكم المنطقي في إقناع القارئ لإدانة جرائم الشرف في روايته **شرفة العار** التي ينفي عنها ابراهيم نصر الله هذه الصفة بقوله "الجريمة بلا شرف دائما" ،هذه

الرواية التي صدرت سنة 2010 تزامنا مع اليوم العالمي للمرأة، وهي الرواية الثالثة من ضمن مشروعه الروائي الشرفات والذي يضم عددا من الروايات لكن هذه الرواية مستقلة عن سابقاتها ،تتمحور الرواية حول قضية قتل المرأة بدوافع تطهير الشرف المدنس سواء كان ذلك الشرف دنسته برضاها أو غصبا عنها وهذا ما سنراه مع بطلة الرواية "منار" بطلة رواية "شرفة العار" والذي يفتتحها الكاتب بتقرير للأمم المتحدة خاص بالتنمية البشرية عام 2009 والذي يشير إلى أن ضحايا جرائم الشرف في العالم هو 5000 امرأة.....حيث تشير الأرقام إلى وقوع من 15 إلى 20 جريمة سنويا في الاردن ....وفي مصر عام 2009 كان عدد جرائم الشرف 52 جريمة ، وفي العراق 34 جريمة وفي العام 2007 ،28 جريمة في العام 2005 وفي لبنان 12 جريمة في العام 1998 .

الحـــــــدث وخلــفياتـــه :

تتناول الرواية قصة رئيسة لفتاة اسمها "منار" أراد الكاتب من خلالها أن يلفت النظر إلى الواقع الذي تعيشه المرأة العربية ،خصوصا في الطبقة المتوسطة والفقيرة ، حيث أصر والد منار على تعليمها وتقديم يد المساعدة لها رغم إصرار باقي الاسرة على أن تترك دراستها خصوصا عمها "سالم" الذي يمثل قسوة المجتمع ،فبطلة الرواية "منار" اغتصبت ببشاعة من طرف سائق التاكسي الذي كان يعمل لدى والدها كسائق بالاجرة على سيارة والدها الذي أصيب بمرض في عموده الفقري_ مما جعله حبيس كرسي متحرك جراء عمله السابق في معمل الاسمنت قبل أن يشتري سيارة تاكسي ،وقد كان أخوها الأكبر "أمين" استدان من السائق المغتصب "يونس" وهو زميله في الحانات وممارسة الدعارة مع المومسات ،رغم أنه متزوج وأب لطفلة– مبلغا من المال ،لكن هذا الاخير لم يرد المبلغ إلى يونس ، مما يجعل يونس ينتقم منه باغتصاب شقيقته "منار" التي أنهت دراستها الجامعية في علم الإجتماع ،وعملت في إحدى المدارس كمساعدة اجتماعية ،التي تتعرف

فيها إلى ضحية اخرى إنها تغريد الطفلة اليتيمة الأب التي تدرس في الصف التاسع ،لقد تم اغتصابها من طرف اخيها عدة مرات وحملت منه .

وعندما هددته بأنها ستخبر والدتهما قتلها بطعنات متتالية ، عندما أخبرت تغريد منار بقصتها لم يكن الإعتداء على منار بعد . عندما أمسكت نبيلة زوجها أمين متلبسا بالرذيلة مع إحدى مطلقات الحي تزوج هذه الأخيرة كي تكون الزوجة الثانية له، ويوم الزفاف تم الإعتداء على منار مما جعل يونس يرسلها كهدية زفاف لأخيها أمين ، لكنها لم تستطع إخبار أحد ،لم يمضي الوقت طويلا إلا وبدأت بطنها تتكور معلنة بمولود جديد بفضيحة آتية في الطريق ، لكن امرها افتضح أخيرا بعد المحاولات الكثيرة المبذولة من طرفها أو من طرف أمها وأخيها في النهاية ، لإجهاض الجنين إلا أن كل تلك المحاولات باتت بالفشل لرغم توفر المبلغ تارة ولرفض الدكتور إجراء العملية تارة أخرى ، وأما عمها سالم الذي كان ضدها منذ البداية لرفض أبيها تزويجها لأحد أبنائه ، عند سماعه للخبر أتى بالراية السوداء راية العار ووضعها فوق باب أخيه قائلا ، لن يستطيع أحد أن ينتشل هذه الراية إلا من سيطهر شرفنا بدمها ، فبعدما باءت محاولة قتلها بالفشل من طرف أخيها أمين أين تدخلت الشرطة لتأخذ منار إلى قسم الشرطة للإستماع إلى أقوالها حول قضية اغتصابها وكذلك محاولة قتل أخيها لها ، لكن الشرطة تركتها هناك تحت حمايتها لتوضع في السجن مع باقي النساء اللواتي تختلف جرائمهن .

هناك تتلقى منار معاملات اللاإنسانية إذ تتعرض إلى اغتصاب سحاقي من طرف إحدى النساء الشاذات ، ولكن شامة كانت توفر لها الحماية ، قضية شما هي الأخرى رغم أنها تدور حول الموضوع إلا أنها مختلفة عن موضوع منار ، شما قتلت طفل ابنتها من السفاح يوم الولادة خوفا من العار ، وكذلك تعرفت لبنى وقصتها أيضا ، لبنى التي فقدت شرفها برضاها بعدما أن وعدها شخص بالزواج لكنه في الأخير يختفي عن الأنظار فتبقى هي المذنبة الوحيدة إذ تحاول أسرتها قتلها بعدما يطلق عليها اخوها الصغير عدة طلقات

مما تصيب إحدى الرصاصات الجنين في بطنها فتمزقه ، ورغم أنها نجت من الموت لكنها لم تنجو من ملاحقة أهلها ، لكن أهل منار رتبوا أمر إخراجها من السجن بعد أن تنجب وليدها في السجن عن طريق إبعادها إلى دبي مع أخيها عبد الرؤوف الذي كان يشتغل هناك .

فبعدما قام أخوها بالإجراءات اللازمة حول الوثائق كانت تقطن مع كفيلها الذي تعهد للشرطة بحمايتها ، فيقوم سفر منار إلى دبي مع أخيها ، اتصل أخوه ليعودوا من طريقهم إلى المطار لتوديع والدتها بعد إصرارها بأن تودع ابنتها قبل سفرها ، لكنها عند وصولها إلى الحي تتفاجأ بعمها سالم الذي كان منذ البداية محرضا على قتلها ، لكن شقيقها أمين هو من سيقوم بالمهمة إذ يطلق عليها النار وسط الشارع ، ويغتصب منها الحياة وكما اغتصب منها شرفها قبل ذلك لكنها تترك رسالة لذويها مع كفيلها تعلن حبها لوالديها و أشقائها ولأسرتها ، وكذلك بأنها لم تسئ لهم قط ، ومما جعل الرواية مؤلمة أكثر هو حرص الكاتب على أن تنشر الرسالة بخط "أناملها في آخر الرواية ، تقتل منار بخمس طلقات متتالية ، لكي تحل مكان الراية السوداء راية بيضاء .

أولا : شخصية الجـــاني والروح الإنتـــقامية :

ما يحدد علاقة المرأة بالرجل حسب النظرية الذكورية هو أن المرأة موضوع جنسي "يرسم استعمال الرجل وتذوقه "[1] حيث لا يخلو هذا الأمر من مرجع ثقافي داخل ذهنيات أفراد المجتمع حول مكانة الأنثى وقيمتها الدونية بينهم ، واستقرار أو تغير المعايير القيمية يعددها الذكور بما يمليه مزاجهم الذكوري المتعطش للسلطة في كنف الأنوثة التّي عزلوها باعتبارها هامشا ، لذلك فإن " الهامشي مؤشر قيمي يعترف في صمت أو عن طريق المحور والإلغاء والتغييب بوجود قطب يستأثر بالحضور ، ويحدد المعايير ويفرض الرؤية ، ولذلك لا يلغي الهامشي وينفي تماما ، وإنما يستخدم كوجود سلبي يؤكد سلطة المركز ويقوي حضوره ، ويصبح الأمر أخطر إذا ما تعلق الأمر بالثقافات "[2].

ولعل أكبر جريمة يمارسها المجتمع في حق المرأة والتي تمثل أقصى درجات التغييب والتحقير ، فهي انتهاك الأعراض والمساس بالشرف ولقد عالج إبراهيم نصر الله هذه القضية وهي قضية اغتصاب المرأة من طرف الغرباء .

والشرف هو ما يمثل المرأة في مجتمعاتنا ، فهذه الأخيرة بدونه تعتبر سلعة منتهية الصلاحية ، ولهذا لطالما اعتبر الشرف عملتها الأساسية ، فهو ما يصنع من الواحدة امرأة حقة أو عدمها . ولكن نفسه ذلك المجتمع الذي ينادي بشرف المرأة وعفتها ، هو من ينتهك شرفها .

[1] - جرمين غرير: المرأة المدجنة ،تر. هنريت عبودي دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ، ط1 ، نوفمبر 1981،ص10 .

[2] - نجية رفيق :كتاب النساء أو كتابات نسوية ،ضمن كتاب : الكتابة النسوية التلقي،الخطاب والتمثلات ، منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الإجماعية دط ، 2010.

1/ شخـــــصية الجاني (يونس):

يطرح إبراهيم نصر الله قضية الإغتصاب من خلال البطلة "منار" التي تم اختطافها من طرف صديق أخيها "**يونس**" "**في حين أحس يونس بأنه يمتلك حجما من الجرأة لم يكن يتخيله ، حين استطاع أن يستل منار من بين يدي صديقها الضخم ويمضي بها بعيدا** "[1]متجها بها نحو بيته ليقوم باغتصابها بكل وحشية وحيوانية "**جرها من إحدى ساقيها اصطدام رأسها بحديد السرير ، تراجع وجرها ، بدأت تقاوم ، وفي تلك اللحظة رفع خنجره وهوى به نحو جسدها فتجمدّت**"[2].

حيث قام باستدراجها إلى بيته تحت وطأة التهديد بواسطة خنجر محاولا إرعابها وتهديدها بالقتل "**سأذبحك إن تنفست**"[3] ولعل الكاتب وصف تلك المشاهد العنيفة للحظة الإغتصاب إلا لأجل أن يفضح أمر يونس ، ويبين حجم المأساة التي عاشتها منار ، بعد أن جعلها يونس مجرد وسيلة لتحقيق انتقامه من أخيها أمين "**قولي لأخيك ، إن مافعلته هو هديتي له بمناسبة زواجه ،قولي له :إن كنت رجلا ،فليحاول الوصول إلي** "[4].

ومن خلال المقطع يتبين لنا حجم الكارثة التي أصابت منار والتي كان يونس السبب فيها ذلك الشخص الذي لا يعرف لا دينا ولا أخلاقا ، لا لشيء إلا لكون المرأة المخلوق الضعيف إذ "نقرأ فعل الإغتصاب على أنه فعل عدواني ذكوري

[1] - الرواية ، ص104 .
[2] - الرواية، ص113.
[3] - الرواية،ص 112
[4] - الرواية ،ص114

يختزل المرأة إلى مجرد عضو جنسي يعبر به الرجل عن فحولته "[1] . إن فحولة المغتصب لا تميز بين الجسد البالغ والقاصر ،لأن لذته الجنسية في حيوانيته الذكورية اتجاه جسد الأنثى هي غايته القصوى التي تحقق سلطته.

وعندما يعجز الذكر على مقاومة مثيله الذكر فإنه يتحايل عليه بهدف سلب إناثه بأسلوب وضيع عن طريق عملية الخطف والإغتصاب بهدف إذلاله والإساءة إلى كرامته لكون أن شرف الأنثى هو إثبات لفحولة الذكر هذه الاستيراتيجية الحربية استغلت نقطة ضعف الطرف الآخر وهي النساء التي كان ضحيتها منار "**إذا كنت تتخيل أنني سآتي لأطرق باب بيتكم مثل شحاذ لأطلب حقي فأنت واهم ...لن أطلبها منك مرة أخرى ، ولكن سأذكرك بشيء لا يمكن أن تنساه أبدا** "[2] ، ولعل هذا الفعل المخزي ما هو إلا تعبير عن حجم وضخامة الكبت والحرمان التي تحول الجنس إلى ظاهرة مرضية وشاذة تسبب أشكالا مختلفة من السلوك الجنسي ذلك أن الإنسان السوي لا يمكن أن يقبل على انتهاك جسد بريء ، فيستبيحه وينهي حياة صاحبته ، لأن حياة المرأة عندنا تنتهي مع ذهاب شرفها .

2 /سلـــــطة الأخ (أمين):

تحضى المرأة دائما سواءا في العائلة أو المجتمع بمكانة دونية ،إذ نجدها داخل الفضائين مهمشة ، ربما بالنظر إلى تركيبتهما البيولوجية أو لأسباب أخرى كثيرة ، وهذا ما طرحه الروائي " ابراهيم نصر الله في روايته " شرفة العار " فالمرأة معزولة في زاوية مهمشة في هاذين الفضاءين (العائلة ، المجتمع)،وذلك بتجريدها من أبسط حقوقها فحرمت من

[1] - الشريف حبيلة :الرواية والعنف-دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ،عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1،2010 ،ص229
[2] - الرواية ،ص 89

الدراسة ومن العمل والتنقل والسفر .....الخ ،حيث تظهر رغبة المجتمع الرجالي في زرع أفكار الدونية والإنحطاط حول صورة المرأة بهدف التغييب

حيث استطاع المجتمع الرجالي ترسيخ فكرة التغييب في الذهنيات ، حتى أصبحت المرأة نفسها تؤمن بحقيقة قصورها عن الرجل ،فالمرأة منذ القدم عانت ولازالت تعاني في المجتمع الأبوي وهذا راجع للمكانة التي تحضاها المرأة في المجتمع العربي والتي حددت بضوابط أخلاقية صارمة وقد طرح هذا الأخير كمؤشر حامل لمكانة الذكر من خلال قوته في إثبات شرفه بين الجماعة وذلك بالقدرة على السيطرة على مجموعة النساء اللائي أوكلن له بحكم التصرف فيبقى هذا الشرف عند المجتمعات العربية الذي ينسج لنا فكر أجدادنا وطريقة عيشهم ونظرتهم إليه ومن الناحية السوسيولوجية نجد أنه يرتبط بالأخلاق والدين والعرف والقيم .

والشرف صنفان شرف متعلق بالدين كحرمة المساجد وشرف العرف وكذلك شرف الذات المرتبط بالطهارة والصفاء والحفاظ على العذرية ، والمرأة تتمثل قيمتها في الحفاظ على هذه الصفات جميعا.

وحديثنا عن الشرف يدفع بنا للتفكير مباشرة في جسد المرأة ، فهو بالضرورة رمز لشرفها ولهذا كان الجسم الإنساني أحد الموضوعات البحثية الهامة لعديد من الدراسات الإجتماعية لدوره كوسيط والتفاعل بين البشر كجسد للحياة البشرية ، ولعل قضية الإغتصاب أحد أهم القضايا التي يتعرض لها هذا الجسد حيث يمثل وصمة عار تؤثر على حياتها الحاضرة والمستقبلية عكس الذكر الذي يهرب من مسؤولياته دون قانون يحاسبه .وهكذا نوع من التحالف بين الرجل والمؤسسة الأخلاقية ، وضمن هذا التحالف يختفي الفساد الأخلاقي الذكوري خلف قناع السلطة على الأنثى"يرى المرأة مجرد متاع أداة

للمتعة ، ومع إدراكها لذلك لا تجد خيارا آخر غير الخضوع له ،فالإرتباط الجنسي الغير شرعي في المجتمع يساوي الضياع ، تدفع ثمنه المرأة"[1] .

كل انحراف ،كل خطيئة ، كل فضيحة، ، كل صغيرة وكل كبيرة تتحملها المرأة لوحدها ، وداخل هذا الفضاء الموحل تتجرع الأنثى الموت البطيء ،الذي يأبى تخليصها من العذاب النفسي "**كانت بحاجة إلى بحر كي تغسل ما علق بها من ألم وانكسار هذا ما أحسته**"[2] .

ومن خلال الرواية يبرز لنا موقف العائلة الذي أثر كثيرا على الإستقرار النفسي لمنار بعد تلك الليلة السوداء التي أنهت حياتها ،فالأنثى لا تتألم جسديا فحسب بل تنمو أنماط من العذاب النفسي ، تتغلغل أكثر لتشكل خطورة أعمق على نفسيتها المتذبذبة وهذا ما لمحناه في شخصية منار بعد الحادثة والرعب الذي عاشته خوفا من أن ينكشف سرها من طرف أخيها أمين "**حين أبصرت أمين يدخل ،ارتعبت ،قفزت واختبأت خلف أمها** "[3] ، حيث أن كان يمثل السلطة الأبوية

يعمل الرجل على تفعيل النظام البطريركي داخل الأسرة ،ليتمكن أكثر من محاصرة المرأة وقوقعتها داخل هذا النسق وذلك بتعدد مراكز السلطة ،فيأتي الأخ مباشرة خلف الأب الذي يورثه السلطة وزمام الأمور فيكون بذلك الوجه المصغر عنه داخل العائلة لكن مع أبو الأمين حدث العكس فأمين كان زانيا سكيرا يرتاد الحانات والملاهي الليلية ويعاشر المومسات كان ولدا عاقا وهذا ماجعل أبو أبا الأمين يتردد في تسليمه السلطة " **كان لابدّ من الحلّ الأخير ، الذي ظل أبو الأمين يدفعه إلى آخر جمجمته، كما لو أنه يريد أن يخرجه منها إلى الأبد**"[4] ،هذا الأخير خيّب ظن والده فيه حتى في أبسط الأمور حيث لم

[1] - الشريف حبيلة :الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية، ص229
[2] الرواية ،ص117 .
[3] - الرواية،ص135.
[4]- الرواية،ص 57

يستطع الحصول على رخصة سياقة وللمرة الثانية على التوالي "**عودة أمين خائبا من إدارة ترخيص السائقين ،بلا رخصة عمومية ، وللمرة الثانية على التوالي** "[1]

ولكن في ظل غياب السلطة المركزية (الأب) يمارس الأخ سلطته وهيمنته على المرأة (الأم/الأخت)، وعلى هذا تأخذ علاقة الأخ بالأخت تقريبا نفس علاقة الأب مع

البنت ،خاصة مع كبر السن حيث تتميز بخوف وحشمة الأخت تجاه الأخ وتستمر هذه الصفة حتى بعد زواجها "[2]فلا يمكن للمرأة أن تتملص من هذه الدوامة الذكورية المسيجة حولها والتي تكبل أنفاسها وتشل حركتها.

وهذا ما تطالعنا عليه "شرفة العار" إذ تطرح واقع المرأة المنحط في خضم سير العلاقات الأسرية فتكشف بذلك النسق البطريركي الذي ينصب في سيطرة الذكر المطلقة على الأنثى .

وألفينا ذلك من خلال تسلط الآخر على الذات الأنثوية ،الذكي صادر حقها في تحديد مصيرها دون أن يأبى للوضع الذي آلت إليه ، وهذا ما لمحناه في الرواية من خلال تدخل العم سالم في تحديد مصير منار وتحريض أخيها أمين على قتلها من أجل غسل العار الذي ألمّ بالعائلة وتنظيف شرفها فجاء على لسان السارد "**صاح عمها سالم:"هي لك" في اللحظة التي أخرج فيها أمين وبيده مسدسه**"[3]، فنلتمس في هذا المقطع بطش الأخ واستضعافه لذات الأنثى /الاخت ، التي بدت مستلبة ومقموعة لا لشيء ، سوى لكون طبيعتها أنثى ، أنثى عاجزة حتى في إدراك أناها ، وقد انعكس صدى عجزها في قوله " **كان يريدها أن تبكي ، تصرخ ،تتوسل ، لكنها بقيت صامتة**"[4]، والصمت إحدى الصفات التي تتناسب والأنثى إن لم نقل أنها الصفة الملازمة لها ، فلا صوت يعلو على صوت

[1] -الرواية،ص57
[2] - بلقاسم الحاج: النظام الأبوي ومظاهر تغير المكانة الإجتماعية للمرأة، مجلة العلوم الإجتماعية ، 2011.
[3] - الرواية، ص232.
[4] -الرواية ،ص 232

الرجل /البطريك ، هو قانونه الذي صاغه و أجمع عليه الجميع ، وبذلك لا تجد الذات مقر للبوح إلا من خلال ولوجها لمكامن الكبت بداخلها فتتكمش على أوجاعها بالإنغلاق على ذاتها .

من هنا نستشف هيمنة الأخ وسلطته ،التي تحول دون فرار منارمن الموت المحتم ، لينبري ذلك النسق الفحولي الذي يقوم على وأد الانثى نفسيا وطمس الحرية التي ترى فيها الخلاص الوحيد ، فيكسر الأخ شوكة المحاولة احتراما لتقاليد المجتمع الذكورية" **عندها تراجع خطوتين وأطلق النار ،وللحظة، أحس بأنه لم يصبها ،فهي لم تسقط ، وأطلق النار ثانية وثالثة ، فلم تسقط ، فاندفع ووضع المسدس على جبينها** "[1] ، وبهذا تكون منار قد قابلت هذه السيطرة بالإنهزام والإستسلام وتتعالى على ذاتها المنتهكة بالتعايش مع الوضع المفروض عليها.

[1] - الرواية ، ص233 .

ثانيـــــا : ادانة الأهـــــل والانتـــقام الأسري:

يعد التّعليم الخطوة الأولى عن طريق التّحرر الفكري والثّقافي للإنسان عموما وللمرأة خصوصا باعتبارها المربية الأولى في الأسرة ،والمرأة في المجتمعات القديمة لم تنل مكانتها التّعليمية الّتي تستحقها لأنه كان ينظر اليها على أنها دون الرّجل في كل شيء ، فكانت مكانتها الاجتماعية تتسم بالدّونية وظلت المرأة تتخبط في الظّلام وبفعل الثّقافة الذّكورية والعادات والتّقاليد الّتي تنظر إليهن من منظور ايجابي يحصرهن في أروقة العمل المنزلي وتبعاته ، وبالتالي غير قادر على ترك بصماتهن في الحياة العامة .

1/ صورة الأب والوصاية الذّكورية

حيث أصبحت نظرة المجتمع للأنثى المتعلمة مشوهة ومحتقرة بسبب الاشاعات التي تصل إلى عائلات الطّالبات مثل وقوع بعض الفتيات في الرّذيلة ، وهذا ما جعل أغلب العائلات يمنعهن بناتهم من دخول الجامعة مخافة الوقوع في الحرام فمنار الطّالبة الجامعية قد عاشت هذه التّجربة القمعية حين حاول أحد ذكور العائلة " العم سالم " الذي قام بتحريض والدها عليها بمنعها من متابعة الدّراسة في الجامعة ، فرغم رفض العائلة لمنار تكملة دراستها إلا أن معاملة والدها ومساندتها للوقوف معها والتّصدي لأي أحد لتواصل دراستها حين قال أبو الأمين : "**هذه البنت ستتعلم وستنجح وسأرفع رأسي بها** "[1] "**سأكون معك أعدك** " "**لا تسمحي لأحد أن يمنعك من الوصول إلى هنا** " [2].

كما يمكن إضافة صورة أخرى للرّجل المتسلط وهي تتمثل في أسلوب " المنع " إذ أن الرّجال لا يتقبلون فكرة خروج المرأة من المنزل أو تعليمها ، حيث لاقت الّرفض بدخول الجامعة من أعمامها والأمر نفسه بالنّسبة ل "منار " حينما حاول رجال العائلة تسميم أفكار الوالد حول

[1] - الرواية ، ص 10.
[2] - الرواية ، ص28.

البنات اللواتي يدرسن في الجامعة حيث يقول" العم سالم " لأبو منار "**سنرى آخر الدلال هذا يا أبو أمين يا متعلم .**"[1]

لقد جاءت تجربة صراع بطلة الرواية "منار " مع رجال العائلة في مسألة الدّراسة والزواج لتجسد واقع المرأة المثقفة داخل الأسرة ومحاولة تزويجها لابن عمها قبل أن تفسد اخلاقها وهذا ما رأيناه " **حين تقدم سالم ليخطب منار لابنه كان على يقين بأنه يريد إخراجها من جهنم التي ألقاها فيها أخوه ,أن يزفها لابنه قبل أن تفسد أخلاقها** ".[2] طلب العم قبل بالرفض يقول أبو الأمين : " **ليس لدي بنات في عمر الزّواج , بنتي ناجحة سأعمل كل ما أستطيع حتى تكمل تعليمها , حتى لو بعت ما علي من ثياب** "[3].

فبإصرار الوالد على الدّراسة تجاوزت رموز السّلطة وواصلت دراستها الجامعية وانخرطت في العمل كمشرفة اجتماعية .

كان ربط شرف الرّجل بسلوك النّساء الجنسي مهمة ممكنة سهلة عندما كانت النّساء حبيسات الأمكنة الخاصة بالبيئة ، اذ ليس هناك ما يبعث على النساء الدهشة في أن النّساء اللاتي يمتلكن هذه السّلطة في الحفاظ على شرف الرّجل أو تقويته ، وتكون هدفا لكي يفجر الرّجل فيهن أشكال عدوانية ، فهناك قانون شرف يساير نظام القيم المجتمعية الّذي يعطي عمق الدلالة لمكانة الرّجل والمرأة ويحدد هدف هذه الأفكار ، من هنا تظهر علاقة الهيمنة والسّلطة الذّكورية بين الرّجل والمرأة ، فنجد الرّجل لا يحتمل ذكر اسم أخته أمام الرّجال أو زوجته على اعتبار أن هذا يمس خصوصياته ويمس شرفه "ولكي يشعر الرّجل برفعه لرأسه داخلاً يجب على النّساء أن تكن تحت رقابته وسيطرته عليهن بحكم السّلطة داخل البيت ، والشّرف كما هو معروف أنه محدد بالنيف فهو التّعبير الرّمزي المستخدم له ، وحديثنا عن الشّرف يدفع بنا للتفكير مباشرة بجسد المرأة ، فهو بالضّرورة رمز

[1] - الرواية ، ص 25.
[2] - الرواية ، ص 26.
[3] - الرواية ، ص 26

لشرفها الّذي قام بانتهاكه أحد العصابات المتمردة على الطّمع الّذي فجر البيت الهادئ وحوله إلى مكان مخيف وجمد كل روح فيه يقول نصر الله واصفا حالة الأب بعد حادثة اغتصاب منار " **عيناه جامدتان كحجرتين بركانيين أسودين أصابعه متصلبة حول يدي كرسيه كما لو أنه ميت منذ أيام .**"[1]

كما تطرق أيضا الى وصف حالة البيت الذي شبهه بغرفة العناية المركزة حيث يقول " **كان البيت أشبه بإنسان يرقد غرفة العناية المركزة ,بيت يلفظ أنفاسه الأخيرة , ولم يكن وجود البشر فيه أكثر من تلويحة وداع حزينة لذلك**".[2]

المرأة ظل للرجل تتبعه في تحركاته ومواقفه ولا حرية شخصية لها ، فالزوجة في نظره مجرد وسيط ، إنها ملك تابع لملكية الأرض والأموال فهي " **ذلك النموذج الذي لا نصيب لها إلا الدمعة تذرفها ، وهي تهان وتسقط من كل حساب لا فيما يتعلق بالأسرة والحياة فحسب لكن فيما يتعلق بها أو حتى بفلذة كبدها** " [3] فالأم تمثل المرأة الخائفة القلقة على مصير ابنتها القابعة تحت سلطة الرجل قادر على فعل أي شيء من أجل ردع ومنع ما يمكن **أن** يلحق به وبسمعته ضررا ، وان لم يكن هذا الضرر بالأمر الكبير الذي يجب أن تحدث من أجله كل هذه الفوضى ، فنبرة الأم كانت تحمل بعضا من الخوف واليأس والضياع من ما سيحدث لابنتها من العائلة التي توقعت الموت لا الرحمة حيث " **تمتمت أمها هاذيه وهي تنظر إلى نبيلة "سيذبحونها** " [4]

وقد أبدع أديبنا في رسم شخصية الطفل أنور شقيق منار ، فقد كان مدافعا عنها حتى الرمق الأخير من حياتها " **سأقتل كل من يحاول الاقتراب منها** " [5]، وكأن الكاتب يبني آمالا وأحلاما جديدة على الجيل القادم الذي يمكنه التخلص من هذه العادات البالية

[1] - الرواية ، ص 173.
[2] - الرواية ، ص 195.
[3] - صالح مفقودة :المرأة في الرواية الجزائرية ،ص212.
[4] - الرواية ، ص 143.
[5]- الرواية ،ص 178.

والجرائم المفزعة فأديبنا كان يتألم وهو يكتب روايته ، هكذا تخيلته ، وإلا لما قدم لنا هذا الابداع الروائي لو لم يعشه ويتفاعل معه .

كما صور لنا الكاتب نصر الله صورة الأخ الحنون عبدالرؤوف ونيته الحسنة في مآزرته لأخته "**أنا تحت تصرفكم** " [1] ردّ وهو يتصفح وجوه من في الغرفة بارتباك ."**هز عبدالرؤوف رأسه** " ثم إننا لا نريد أن يفور دم واحد من اخوتك، أو أولاد عمك، إذا ما رآها هنا، فيقتلها " " **أنا مقتنع** " قال عبدالرؤوف "[2]

2/ الشّخـــــصية البطريركية للـــــــعم :

لطالما سقط الّرجل والمرأة ضحية للكثير من الأعراف والتّقاليد الاجتماعية الّتي تقوم على مبدأ الإجحاف في حق كل منهما , لأن كل تجاوز تخطي للتقاليد يعد خرقا للمحظور ,لهذا ينظر المجتمع العربي عامة للأنثى بخلاف الذّكر , لأنها في المرتبة الثّانية الخاضعة والتّابعة للسلطة الذّكورية المتوارثة بين الأجيال , الّتي تضطهد النّساء , فالمرأة كانت ولا تزال مصدر العار بالنسبة للرّجل ولهذا يكرس وجوده لمراقبتها وخنقها بالعادات والتّقاليد وكأنه بهذه المراقبة يسعى إلى حفظها والحرص على سلوكها وشرفها .

حيث يمنح النّظام الأبوي السّلطة لذكور العائلة دون استثناء أحدهم يوجب خضوعهم وطاعتهم له طاعة عمياء مثلما حدث عندما تدخل " العم سالم " في شؤون عائلة أخيه " أبو الأمين " أي أن مصير " **منار**" بين أيدي كل ذكور العائلة , زيادة على هذا فإن أي قرار يصدر من ذكر في العائلة الأبوية ضد الأنثى لا عودة فيه وغير قابل للنقاش ،حيث يتمتع الرّجال بالسلطة والسّيادة المضاعفة ، وتتأسس هذه القوة والسّيادة الذّكورية في الأسرة بدء من تعاليم النّظام البطريركي الّذي يهيئ الذّكر لامتلاك السّلطة على الاناث ، فكان الضّعف الأنثوي أرضا خصبة لزراعة بذور الدّونية والسّذاجة وحصاد الغلة المتمثلة

[1] - الرواية ،ص221
[2] - الرواية ،ص221

في الرّضوخ والطّاعة ، وذلك في المجتمع البطريركي الّذي يقع على قمته الآباء والأعمام وأبنائهم الذّكور مثلما هو واقع مع " منار " ورجال العائلة ، من تهديد العم سالم حين قال : " **أرجو أن يكون هناك رجال في هذا البيت ليقوموا بما عليهم القيام به حماية لشرفهم سأنتظر حتى المساء , وإذا لم تتحركوا فإنني أعلمكم أن بيتي ممتلئ بأبناء عمها الرجال** " [1]وذلك باعتبار الذكر المصدر الرئيسي للسلطة في المجتمع وفي كل الأحوال فالرجل هو القياس الطبيعي لكل شيء ، وهو الذي ينشئ النظام الإجتماعي أي أنه المحرك والمسير في تقديم وتطوير أنظمة المجتمع ، ويتجلى هذا في اسرار "العم سالم " على محو العار الذي تسببت فيه منار للعائلة التي كانت ضحية تلك الليلة المشؤومة التي كانت بداية لتعاستها وسجنها وتعليق راية موتها " **هذه الرّاية لن ينتزعها من مكانها غير ذللك الذي سينزع روح تلك السّاقطة التي لوثت شرف العائلة ونشرت سيرتنا الشّائنة عن كل لسان** [2]"

فالعم سالم كان يريد أن يخلص هذا الجسد من العار حسب معتقداتهم باعتباره طابوا لا يجوز الاقتراب منه ، وإن تم ذلك يعتبرونه شيئا مدنسا ينبغي التّبرء منه لأنه فيه مساسا بطابو الأسرة والقبيلة ، وهو انتهاك عقوبته القتل غسلا للعار، وهذا ما آل اليه العم سالم في الوصول إلى ابن أخيه عبدالرؤوف واقناعه بفكرة أخذ منار إلى دبي " **لقد فكرنا طويلا ووجدنا أن الحل الذي يريح الجميع ويريح أختك هو في يدك ، ولذا طلبنا منك أن تحضر بسرعة إلى هنا ، كل ما نريده منك هو أن تذهب إلى السّلطات وتتعهد بأنك ستأخذها معك إلى دبي** ". [3]

فبيت أبو الأمين تحول من صوت هائج إلى صوت هادئ وظلام مخيف تحول إلى تماثيل حينما سلم " العم سالم " منار إلى أمين "**هي لك** " **في اللحظة التي خرج فيها أمين وبيده**

[1] - الرواية ، ص 167.
[2] - الرواية ، ص 182.
[3] - الرواية ، ص 221.

مسدسه " نظرت اليه يتقدم نحوها ، لكنها لم تتحرك أربكه هذا ، كان يريدها أن تهرب ، أن يلحق بها مطلقا عليها الرصاص من الخلف "[1] " نظر حوله فلم يجد هناك سوى الصمت ، الظلال تحولت إلى تماثيل " " وجه مسدسه من جديد لجثة منار مفرغا الطلقات كلها في جسدها وحين انتهى الرصاص راح يضغط على الزناد مرة تلوى الأخرى".[2]

"رفع أبو الأمين عينيه ونظر صوب الجسد الساكن الغارق في بحيرة دم صغيرة " على مقربة من قدميها كان هناك حذاؤها الأسود ". [3]

فإذا عد القتل من أبشع أنواع العنف ، فاعتقد أنه لا يوجد أبشع من الاغتصاب فبالقتل تنتهي حياة الضّحية كما انتهت حياة منار بالقتل على يد أخوها " أمين " بعد أن تجرع الآلام والمعاناة لفترة محدودة ، أما في الاغتصاب فالضّحية تتجرع آلاما نفسية وتلازمها اضطرابات انفعالية مضطربة ما قدر لها أن تعيش حياة عادية.

ثالثا: مظـــــاهر الانتقـــــــام الاجتـــــماعي

يوزع المجتمع بعاداته وتقاليده وأعرافه موازين القوى ، حيث تفقد المرأة جزءً من انسانيتها وحريتها داخل هذا الجو الأسري ، هذا لأن تنظيم التّمييز بين المرأة والرّجل وتنظيم العنف لفائدة الرّجل هو ما يتسم به النّظام الأبوي ، حتى وان كان الذّكر ضحية لبعض سلبيات هذا النّظام السّلطوي، إلا أن الأنثى لها نصيب الأسد من كل هذا ، فطبيعة المجتمع تقتضي تحكم الرجل في امور الأسرة وسيطرته على المرأة ، كما أن حفاظ الرّجل على شرفه جعله يبالغ في التّشديد على المرأة ، والشّرف الجماعي يمثل هاجس كل أنثى ومصدر قلق لكل عائلة في الحفاظ على عرض وصون شرف العائلة

[1] - الرواية ، ص 232.
[2] - الرواية ، ص 233.
[3]- الرواية ، ص 233.

والقهر يمثل شكلا من أشكال العنف الّذي يعد من أكثر الظّواهر الاجتماعية انتشارا اليوم ، والّتي تتعرض له المرأة في المجتمع فهي لا تعتبر ظاهرة محلية فقط بل عالمية ، فالمرأة تتعرض في كثير من الأحيان في المجتمعات العربية أو الغربية للضرب والقتل والاغتصاب ، وكل هذا يعتبر عنف جسدي, إلى جانب العنف المعنوي المتمثل في الإساءة باللفظ والكلام ، وقمع الذات والحرمان, والضغط والاجبار والاهانة ،اضافة إلى دفعها للتنازل عن حقوقها وممتلكاتها، فظاهرة العنف منتشرة ضد المرأة في المجتمع ولازالت المرأة حبيسة العادات والتقاليد البالية .

والحقيقة أن قضية العنف والاغتصاب انما هي قضية المجتمع بأسره ولا يمكن النظر إليها على أنها من مهام رجال الأمن وحدهم ، وذلك لأن المؤسسات الاجتماعية الأخرى وكذلك الجماعات والأفراد مسؤولون أو شركاء في المسؤولية في دفع شرور العنف والتّطرف عن حظيرة المجتمع ، والشّرف هو ما يمثل المرأة في مجتمعاتنا فهو لن يقبلها ولن يحترمها وفوق كل ذلك لا يعتبرها امرأة طبيعية، فهذه الأخيرة تعتبر سلعة منتهية الصّلاحية ، فمنار كانت ضحية المجتمع الذي لا يرحم ، وكذلك الأهل الذي لا يهم سوى شرف العائلة ومسح العار، ولو استدعى الأمر إلى قتل فلذات أكبادهم.

1/المجتـــــمع والعقــاب الجمــاعي :

يختار المغتصب شريكته أو الضّحية بالقوة مثلما حدث مع منار ولديه رغبة حقيقية في ايذاء الضّحية، ولذلك قام بحرق القانون الاجتماعي ، ولذلك يعتبر عمله عملًا اجراميًا وان كانت الحقيقة ، أن هناك الكثير ممن يخرقون القانون لا يرغبون في الحاق الأذى بالضّحية ، فمن هؤلاء من يصدر شيكات بدون رصيد.

وينتقل التسلط والخضوع من العائلة إلى المدرسة والشارع والوظيفة حيث أن " **مرور أي فرد من أفراد العائلة في الشارع أصبح بمثابة حفلة تعذيب جهنمية ، في الوقت الذي بدأ الجيران يرون في الراية السوداء نذير شؤم** "[1]

كما أن هذه العلاقة التسلطية تلغي الحرية مثلما تلغي الحوار والتفاهم في الأسرة والمجتمع وكذلك في السلطة من حيث هي فعل حواري بين أفراد مستقلين، يتخطى العائلة إلى السلطات الحاكمة هي أساساً سلطات عائلية تهتم بمصالح العائلة لا بمصالح الشعب والوطن، وهكذا ينتقل الاستبداد والتسلط من العائلة الأبوية إلى السلطة الحاكمة .

حيث أصبح الأهل والمقربين إلى العائلة يتنكرون لبناتهم ويرفضون استقبالهن لأنهن يمثلن العار بالنسبة لهن ، لإحاطتها بقفصٍ من القوانين والتقاليد بذريعة المحافظة على الشرف داخل الأسرة والمجتمع حيث أن حركاتهن أصبحت محدودة " **فمساحة الحرية التي كانت متاحة لفتيات الحارة تقلصت إذا لم يعد من السهل عليهن التحرك أو الغياب طويلاً عن منازلهن, وعند هبوط الليل قبل عودتهن جرساً ينذر بفضيحة أخرى**" .[2]

فالمجتمع يتسامح مع الذكر ان ارتكب الخطيئة عامداً متعمداً مصراً ، ويثور على الفتاة وان كانت فريسة لوحوش آدمية قذرة ، ولا يرضى بأقل من قتل الفتاة مسحا للعار بغض النظر عن وضع الفتاة أكانت برضاها أم مجبرة ، فهو مجتمع مصاب بالعمى وفقدان البوصلة لا يفرق بين الحالتين, في حين يرى المجتمع أن الضحية الموت أهون لها من الاغتصاب.

حتى أن أهل الحي أصبح يتخذ مآسي الآخرين مادة للتسلية وطق الحنك والتشفي ، وكأنما هم في منأى للأبد مما حدث ولو عقلوا لسكتوا ليحميهم الله ويحفظ لهم بناتهم وأولادهم "

[1] - الرواية، ص 206.
[2] - الرواية ، ص 206.

كل الشبابيك كانت مشرعة مئات العيون تحدق فيهن، تعريهن وتنشر سرهن بقسوة لا تحتمل، والشرفات بمن فيها متربصة كما لو أنها على وشك القفز " [1]

فالاغتصاب يعد نشاط جنسي غير مرغوب فيه يفرض بالقوة أو يجبر عليه فرد آخر، وتتباين ضحايا الاغتصاب بين أطفال في سن ما قبل المدرسة، حتى نساء في الثمانينات من العمر، ولا يقتصر الاغتصاب على الغرباء من النساء بل قد تكون الضحية من أقارب المغتصب كأخته أو ابنته، وعندما يبحثون عن الحلول ويلجؤون إلى الطبيب الذي لا مانع عنده أن يجري عملية الاجهاض مستغلا ظرف منار لطلب مبلغ كبير، وعندما تحضر المبلغ بعد عناء يعتذر بحجة وجود شهود قد يورطونه أي أنه يمتنع خوفاً لا خلقاً أو ضميراً " **لا ينقصني سوى أن تأتوا بكل سكان العاصمة كي يشهدوا على ما سأقوم به** " وصمت قليلاً قبل أن يضيف : " **يا أختي أنا لا أستطيع أن أجري عملية خطرة كهذه وحولي كل هؤلاء الشهود عن إذنك** ". [2]

والحقيقة أن الاغتصاب يترك آثاراً مدمرة على شخصية الضحية ، فهناك بعض الحالات التي تظل تعاني لمدة طويلة بعد الهجوم عليها، والبعض الآخر تضطرب شخصيته طوال حياته ، وتقع غالبية جرائم الاغتصاب على النساء ذلك لأن الشعور بالعار والخوف والذنب المرتبط بهذا الهجوم تجعل الضحية يكف عن الابلاغ .

وان كان مثل الجار قبل الدار قد أصبح عكس ذلك الجار عدو الدار كما هو الحال مع الجارة التي هتكت سر جيرانها عندما علمت به مصادفة، وأذاعت النبأ بسرعة البرق، ولو كانت تعرف حق جيرانها لأغلقت فمها، ودعت لهم بالستر، ولكنها شهوة النميمة وعلك سمعة الآخرين " **لكن عيني الجارة سقطتا على بطن منار، منار التي أخفت بطنها بيديها**

[1] - الرواية ، ص 166.
[2]- الرواية ، ص 162.

فاضحة نفسها أكثر، ارتدت الجارة للوراء خطوتين وهي تتمتم : " رحمتك يا الهي، اللهم نجّنا ، اللهم نجّنا "وابتعدت بخطوات سريعة كما لو أنها تهرب من وباء[1].

2/ تحالف السلطة الذكورية مع سلطة القانون.

ان جريمة الاغتصاب ظاهرة قانونية تنشأ بالقانون وتزول بزوال القانون، وإذا كان هناك من تشابه بين جريمة وأخرى، فهو في أن كليهما مخالف لنص قانوني معين من قانون العقوبات ، فالقانون ينشئ جرائم جديدة ويلغي أخرى ذلك القانون الظالم الذي يساوي بين الضحية والجلاد ، بل ويحابي الجلاد ويخفف جريمته بذرائع لم تعد مقبولة ، وخاصة عندما تكون الفتاة مكره مجبرة، القانون الذي يضع الضحية في السجن حماية لها فتقع ضحية لظلم جديد وشراسة أشد ومعاملة سيئة " **وحيدة جلست منار تروي كل ما حدث لها في تلك الليلة السوداء لم يتركوها تهمل صغيرة أو كبيرة إلا وسألوها عنها ، بحيث تجاوز وقت سماع أقوالها وقت اغتصابها عشر مرات على الأقل."[2]**

ذلك القانون الذي يترك الجاني طليقا بحجة أنه فار من وجه العدالة ، أو لا يعرف له عنواناً ، ولو كان مطلوبا لغير هذه الجريمة ربما طورد بمئات من رجال الشرطة و فالضابط يريد استفساراً من الضحية ان كان اغتصابها بمحض ارادتها أم تم بالغصب والقوة ، فأي أنثى هذه تقبل أن يحطم جسدها ويشوه بثمرات اغتصاب في أحشائها وهي ممارسات تقترن بالإكراه والعنف الجسدي، فبعض ضعاف النفوس من الشرطة يستغلون السجينات للتلذذ بقفص الاغتصاب البشعة المؤلمة بذريعة إعادة التحقيق " **نريد أن نسمع منك كل ما حدث معك ، لا نريد أن تغفلي أي تفصيل صغير, كل الأشياء التي ستقولينها لنا مهمة، حتى تلك التي تعتقدين أنها ليس كذلك "[3].**

[1] - الرواية ، ص 155.
[2] - الرواية ، ص 181.
[3] - الرواية ، ص 187.

حتى للسجانات أصبحن لهن دور في السجن وكأنهن يشغلن منصباً فهن لا يتعاملن مع مشاكل السجينات كما يجب، ويتركن شريعة الغاب تسود في المهاجع مع أنهن موجودات في مراكز الإصلاح يفترض أن توفر أفضل وسائل الإصلاح والإرشاد والدعم النفسي خاصة وأن معظم المقيمات في السجن لسن مذنبات، وإنما وضعن فيه حماية لهن من ذويهن ، وهذا ما حدث مع منار حين ثارت عليها السجانة الطويلة الجميلة شامة " **ومن تكونين حضرتك، تريدين أن نقول أنك اغتصبت وإنك بهذا مختلفة عنهن، لو كان لديك أدنى حس من الشرف لكنت مت قبل أن تسمحي له بذلك** "[1] .

فالاغتصاب من الجرائم التي يصعب اثبات الاتهام فيها في المحكمة، فلكي تثبت المرأة أنها اغتصبت بقوة عليها أن توضح أنها قاومت وذلك حتى يقوم برهان على الادانة فالمؤسسات التربوية ينبغي أن تتصدى لقضايا العنف والاغتصاب والتطرق إليها باعتبارها قضايا تربوية كما هو الحال مع منار التي تركوا حقها يزول وتركوا المجرم يجول.

وكحوصلة لهذا الفصل نخلص في الأخير إلى أن مكانة المرأة في المجتمعات العربية قد حدد بضوابط أخلاقية صارمة وقد طرح هذا الأخير كمؤشر حامل لمكافحة الذكر من خلال قوته في إثبات شرفه بين الجماعة ،وذلك بالقدرة في السيطرة على مجموعة النساء اللاتي أوكلن له ،فيبقى هذا الشرف عند المجتمعات العربية ينسج لنا فكر أجدادنا وطريقة عيشهم ونظرتهم إليه ، ومن الناحية السوسيولوجية نجد أنه يرتبط بالأخلاق والدين والعرف وتوصلنا للنتائج التالية :

- الحديث عن مسألة الجنس من القضايا المسكوت عنها خاصة إذا ما تعلق الأمر بشرف العائلة ذلك أن الخوض فيها يعدّ انتهاكا للمحظور.

[1] - الرواية ، ص 190.

- عدوانية الآخر /الرجل في التعامل مع الأنثى ليتخذ من العنف والقوة لغته الدائمة، التي ستحفظ له هيبته ومكانته كرجل وليرضخ الأنثى ويحكم عليها السيطرة من جهة أخرى.
- أن العلاقات بين الأنا / الأنثى والآخر/ الرجل تقوم على أسس هرمية متسلطة ،يضطهد فيها الذكور الإناث في إطار النسق البطريركي المهيمن ،ليتمكن بذلك الآخر من فرض هيمنته و إحكام سيطرته على الأنثى وإخضاعها بجعلها تابعة له .
- بقاء المرأة المغتصَبة تعاني من أثار الجريمة مدى حياتها بوسمها إجتماعيا بالرغم من أنها ضحية وهذا دليل على ترسيخ فكرة التمييز الجنسي حيث يلقى المُغتصب/الرجل كل فرص التواجد والإندماج الإجتماعي ، بينما المُغتصَبة يحدث لها العكس ، تبقى معزولة ومحاصرة وحتى مرفوضة إجتماعيا .

الخـــاتمة

بفضل الخطوات المنتهجة في الدراسة توصلنا لنتائج تؤكد أو تنفي التساؤلات المطروحة في البحث يمكن حصرها فيما يلي :

لقد كان الفكر القديم ينظر للمرأة نظرة دونية تنطوي على الكثير من الاحتقار، مما فرض عليها ظروف العزلة والتهميش طالها في العديد من العصور، نظرا لما توارثته الذاكرة الجماعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة.

- تحقير المرأة ووصفها بالدونية كان انعكاس للواقع الاجتماعي الذي كانت تعيشه المرأة بشكل أهان كرامتها، فضلت حبيسة للصورة النمطية التقليدية التي رسمها الرجل.
- لقد حضي الذكر قديما بامتيازات خولت له ممارسات معينة ومنحته سلطة التحكم في المرأة من خلال فكرة الملكية والتبعية المطلقة للرجل.
- تسليم المرأة بدونيتها وإقرارها بخضوعها للرجل في عديد من الحضارات القديمة كانت نتيجة للنظام البطريركي الذي نفي وجودها الاجتماعي، وقنن قوانين وتقاليد فرضت عليها دونيتها.
- صراع غير متكافئ القوى بين قطبي الذكورة والأنوثة ، حيث تحضر الشخصية البطلة كفاعل فردي في مواجهة الفاعل الجماعي الذي يمثله الآخر/الرجل بكل ما يحمله من ثقل التقاليد والأعراف .
- تشكل العائلة النواة الأولى لتشكل النظام البطريركي ،بسبب تلك العلاقات العمودية التي يكون فيها الأب على رأس الهرم العائلي ،كونه يمثل السلطة ،مما يفضي لخضوع المرأة وانقيادها .
- عكس إبراهيم نصر الله في روايته "شرفة العار " ذات أنثوية مقموعة ومضطهدة ومهمشة على كافة الأصعدة حيث، يمارس عليها شتى أنواع القهر ،في حين أبرز الآخر/الرجل أنه مصدر للتسلط وفاعلا اساسيا لطمس هوية المرأة.

وفي الأخير أرجوا أن أكون مقبولة العذر عند وجود الخلل، وهو موجود بأي حال، والقلم جاهز لإصلاح الخطأ وتصويب ما وقع من السهو لما يأمر به أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة فلهم منا جزيل الشكر والاعتراف بما قدموه من نصح كريم .

الـــملـــحق

نـــــــبذة عن ابراهـــــيم نصر الله

ابراهيم نصر الله شاعر وروائي فلسطيني الأصل, ولد في عمان سنة 1954 في أقسى الظروف, حيث تم اقتلاع أبويه من قريتهما البريج والشعب الفلسطيني من أرضه في عام 1948 [1]،كانت مدرسته الأولى خيمة بلا مقاعد تابعة لوكالة الغوث في مخيم الوحدات، عايش هذا المكان بكل ما فيه،فصار وشماً على جسده يعلن عن ذاته في الحضور والغياب ، في هذه الخيمة الدراسية كان الوضع يفرض على ابراهيم نصرالله وزملائه الطلاب الاشتراك في كتاب واحد ، وكانوا يحرمون في الآن نفسه من أخذه معهم إلى منازلهم ، ومنذ تلك اللحظة بدأ حلم ابراهيم يكبر في امتلاك كتابه الخاص وقد تأتى له ذلك فعلا باطلاعه على مجموعة من الأعمال الأدبية الموازية تتحدث نغما حزينا اعتقد معها ابراهيم نصر الله أن العالم يعيش حالة بؤس لا تختلف عن تلك التي يعيشها هو في المخيم [2]

إنها المعاناة التي شكلته والآثار الأشد وقعا والأكبر معنى التي تختزل حكاية أديب وشاعر وروائي وفنان يركض وراء كتابة تقاوم النسيان ، أديب تفتقت ملكته الابداعية لتشيد رؤى للكون وتبني آفاق منسجمة ومنصهرة في بوتقة جعلت من الجرح العربي – الفلسطيني – ومن هموم الانسان وقضاياه الوجودية وعيا لا ينفصل فيه الجمالي عن الدلالي، والواقعي عن التخيلي، والسردي عن الشعري ، والايديولوجي عن اليوطوبي لبناء هوية تعطي للوجودالفلسطيني والانساني معنى وللتاريخقيمة. [3]

تابع ابراهيم نصر الله دراسته في مركز تدريب عمان لا عداد المعلمين ، وكان المكان فرصة لاطلاع الشاعر والروائي على نصوص غسان كنافي و وسميرة عزام ، وهي نصوص تشع بالحرية والجمال، وسافر إلى السعودية ، وتحديدا إلى القنفدة حيث عمل

[1]- ابراهيم نصرالله , شرفة الهاوية – رواية – الدار العربية للعلوم , ناشرون , بيروت , ط2 ,2014 , ص 331.
[2]- عبدالله بريمي : موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث , ابراهيم نصر الله , الأدب تنقية للذاكرة وأنسنة للتاريخ , ج4, ص4.
[3]- المرجع نفسه , ص 5.

مدرساً لمدة عامين 1976-1978 وعمل في مؤسسة عبد الحميد شومان – دارة الفنون – مستشاراّ ثقافياً للمؤسسة ومديرا للنشاطات الأدبية فيها[1].

أعمـــاله وآثـــاره الشـــعرية والروائيـــــة:

1-آثـــــاره الشـــــــعرية:

الخيول على مشارف المدينة 1980-المطر في الداخل1982- الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق 1984- نعمان يسترد لونه 1984- أناشيد الصباح 1984- الفتى النهر والجنرال 1987- عواطف القلب 1989- حطب أخضر 1991- فضيحة الثعلب 1993- الأعمال الشعرية – مجلد يضم تسعة دواوين 1994- شرفات الخريف 1996- كتاب الموت والموتى 1997 – بسم الأم والابن 1999- مرايا الملائكة 2001 – حجر الناي 2007- لو أنني كنت مايسترو 2008 – أحوال الجنرال – مختارات 2011 – عودة الياسمين إلى أهله سالماً – مختارات – 2011- على خيط نور...هنا بين ليلين 2012 [2]

آثـــــــاره الروائيـــــــــة:

براري الحمى 1985- الأمواج البرية 1988- عو 1990 – مجرد 2 فقط 1992 – حارس المدينة الضائعة 1998 ، الملهاة الفلسطينية (كل رواية مستقلة تماما عن الأخرى) طيور الحذر 1996- طفل الممحاة 2000- زيتون الشوارع 2002- أعراس آمنة ، تحت شمس الضحى 2004 – زمن الخيول البيضاء 2007 – اللائحة القصيرة لجائزة البوكر العربية 2009 – قناديل ملك الجليل 2012.

[1]- عبدالله بريمي : موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث , ابراهيم نصرالله , الأدب تنقية للذاكرة وأنسنة للتاريخ , ج4,ص4.
[2]- ابراهيم نصر الله : شرفة الهاوية – رواية – ص331.

الشرفات (كل رواية مستقلة عن الأخرى): شرفة الهذيان 2005- شرفة رجل الثلج 2009- شرفة العار 2010- شرفة الهاوية 2013.[1]

وله كتب أخرى تتعلق بالنقد السينمائي، وأبحاث ودراسات في موسوعات وفي نقد القصة ونقد الشعر، وشارك في معارض تشكيلية وفوتوغرافية، وقد ترجمت بعض رواياته إلى الإنجليزية والإيطالية والدانماركية والتركية.[2]

التـــجربة الـــروائية لإبراهيم نصر الله :

إن أعمال ابراهيم نصر الله الرّوائية لا تكف عن مجابهة ومساءلة الأنساقالمبتذلة، إذ تسعى لتحطيمها ما يجعلنا نستشعر أن هناك قوة حقيقية تتم ممارستها بواسطة السّرد وأن هذه القوة لها آثارها الفعلية بوصفها ممارسة ابداعية , تتكامل مع الفعل الثّقافي الباني لكينونة المجتمع، ويتبدى هذا بصورة واضحة في الأعمال السّردية التي تستعيد التّاريخ وفق رؤية جديدة، وهي بذلك تؤسس لفهم مغاير لهذا التّاريخ بإضاءة كل الحقائق الّتي لحقها التّشويه والتّزييف ، لهذا السّبب اكتسبت أعمال ابراهيم نصر الله السّردية في أبعادها الوجودية قوة خاصة أقدرتها على مجابهة كل السلطة الفعلية والرمزية في نزوعها التحكمي ومكنتها من اقتراح بديل، يفوض نسق السلطة ويشكك في نواياها، ويسعى إلى نقد خطابها وإفشال رهاناتها، كما يأبى الاستكانة ويتلبس بوظيفة إنقاذية للإنسان في صراعه الأبدي مع أقدار لا تحترم إرادته.[3]

والمثير كذلك في أعماله أن هناك مسألة أساسية تتعلق بالكون الروائي خصوصا فيما يتصل بالشخصيات، فهذه الأخيرة لا ينظر إليها إلا باعتبارها بناء تنتج مجموعة من السّلوكات والقيم، وتؤدي مجموعة من الوظائف والأدوار، إنها كما يرى فيليب هامون : " شخصيات ذات حمولة مرجعية " سواء كانت هذه الأخيرة تاريخية أو اجتماعية أو

[1]- ابراهيم نصر الله: شرفة الهاوية – الرواية – ص331, 332.
[2]- عبدالله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث ، ص 6
[3]- المرجع نفسه، ص 21،22

ثقافية،هذه المرجعيات تتحدد من خلال الحالات المرتبطة بهذه الممارسات، مثل حالة الطالبة منار في رواية شرفة العار.

فكتابة نصر الله الروائية مثلا – الملهاة الفلسطينية– تمكن القارئ من اكتشاف الباحث على الكتابة، والمتمثل في مقاومة النسيان والرغبة في تأنيث وملأ البياضات التي تهدد الإنسان الفلسطيني والعربي وعلاقته بأرضه، ووجوده في هذا العالم ككل .

فالكتابة حماية للذاكرة وضد اللامبالاة، وبصيرة أمام الحقيقة التاريخية والوجودية، والجمالية التي تختزنها نصوص ابراهيم نصر الله السردية الغنية بالإيحاءات والرموز التي تستعيد فترات مجهولة أو شبه مجهولة في التاريخ العربي والفلسطيني .

ملـــــخص الـــــــرواية

تتناول الرواية قصة رئيسة لفتاة اسمها "منار" أراد الكاتب من خلالها أن يلفت النظر إلى الواقع الذي تعيشه المرأة العربية ،خصوصا في الطبقة المتوسطة والفقيرة ، حيث أصر والد منار على تعليمها وتقديم يد المساعدة لها رغم إصرار باقي الاسرة على أن تترك دراستها خصوصا عمها "سالم" الذي يمثل قسوة المجتمع ،فبطلة الرواية "منار" اغتصبت ببشاعة من طرف سائق التاكسي الذي كان يعمل لدى والدها كسائق بالأجرة على سيارة والدها الذي أصيب بمرض في عموده الفقري_ مما جعله حبيس كرسي متحرك جراء عمله السابق في معمل الاسمنت قبل أن يشتري سيارة تاكسي ،وقد كان أخوها الأكبر "أمين" استدان من السائق المغتصب "يونس" وهو زميله في الحانات وممارسة الدعارة مع المومسات ،رغم أنه متزوج وأب لطفلة– مبلغا من المال ،لكن هذا الاخير لم يرد المبلغ إلى يونس ، مما يجعل يونس ينتقم منه باغتصاب شقيقته "منار" التي أنهت دراستها الجامعية في علم الإجتماع ،وعملت في إحدى المدارس كمساعدة اجتماعية ،التي تتعرف فيها إلى ضحية اخرى إنها تغريد الطفلة اليتيمة الأب التي تدرس في الصف التاسع ،لقد تم اغتصابها من طرف اخيها عدة مرات وحملت منه .

وعندما هددته بأنها ستخبر والدتهما قتلها بطعنات متتالية ، عندما أخبرت تغريد منار بقصتها لم يكن الإعتداء على منار بعد . عندما أمسكت نبيلة زوجها أمين متلبسا بالرذيلة مع إحدى مطلقات الحي تزوج هذه الأخيرة كي تكون الزوجة الثانية له، ويوم الزفاف تم الإعتداء على منار مما جعل يونس يرسلها كهدية زفاف لأخيها أمين ، لكنها لم تستطع إخبار أحد ،لم يمضي الوقت طويلا إلا وبدأت بطنها تتكور معلنة بمولود جديد بفضيحة آتية في الطريق ، لكن امرها افتضح أخيرا بعد المحاولات الكثيرة المبذولة من طرفها أو من طرف أمها وأخيها في النهاية ، لإجهاض الجنين إلا أن كل تلك المحاولات باتت بالفشل لرغم توفر المبلغ تارة ولرفض الدكتور إجراء العملية تارة أخرى ، وأما عمها

سالم الذي كان ضدها منذ البداية لرفض أبيها تزويجها لأحد أبنائه ، عند سماعه للخبر أتى بالراية السوداء راية العار ووضعها فوق باب أخيه قائلا ، لن يستطيع أحد أن ينتشل هذه الراية إلا من سيطهر شرفنا بدمها ، فبعدما باءت محاولة قتلها بالفشل من طرف أخيها أمين أين تدخلت الشرطة لتأخذ منار إلى قسم الشرطة للإستماع إلى أقوالها حول قضية اغتصابها وكذلك محاولة قتل أخيها لها ، لكن الشرطة تركتها هناك تحت حمايتها لتوضع في السجن مع باقي النساء اللواتي تختلف جرائمهن .

هناك تتلقى منار معاملات اللاإنسانية إذ تتعرض إلى اغتصاب سحاقي من طرف إحدى النساء الشاذات ، ولكن شما كانت توفر لها الحماية ، قضية شما هي الأخرى رغم أنها تدور حول الموضوع إلا أنها مختلفة عن موضوع منار ، شما قتلت طفل ابنتها من السفاح يوم الولادة خوفا من العار ، وكذلك تعرفت لبنى وقصتها أيضا ، لبنى التي فقدت شرفها برضاها بعدما أن وعدها شخص بالزواج لكنه في الأخير يختفي عن الأنظار فتبقى هي المذنبة الوحيدة إذ تحاول أسرتها قتلها بعدما يطلق عليها اخوها الصغير عدة طلقات مما تصيب إحدى الرصاصات الجنين في بطنها فتمزقه ، ورغم أنها نجت من الموت لكنها لم تنجو من ملاحقة أهلها ، لكن أهل منار رتبوا أمر إخراجها من السجن بعد أن تنجب وليدها في السجن عن طريق إبعادها إلى دبي مع أخيها عبد الرؤوف الذي كان يشتغل هناك .

فبعدما قام أخوها بالإجراءات اللازمة حول الوثائق كانت تقطن مع كفيلها الذي تعهد للشرطة بحمايتها ، فيقوم سفر منار إلى دبي مع أخيها ، اتصل أخوه ليعودوا من طريقهم إلى المطار لتوديع والدتها بعد إصرارها بأن تودع ابنتها قبل سفرها ، لكنها عند وصولها إلى الحي تتفاجأ بعمها سالم الذي كان منذ البداية محرضا على قتلها ، لكن شقيقها أمين هو من سيقوم بالمهمة إذ يطلق عليها النار وسط الشارع ، ويغتصب منها الحياة وكما اغتصب منها شرفها قبل ذلك لكنها تترك رسالة لذويها مع كفيلها تعلن حبها لوالديها و

أشقائها ولأسرتها ، وكذلك بأنها لم تسئ لهم قط ، ومما جعل الرواية مؤلمة أكثر هو حرص الكاتب على أن تنشر الرسالة بخط "أناملها في آخر الرواية ، تقتل منار بخمس طلقات متتالية ، لكي تحل مكان الراية السوداء راية بيضاء

المصادر والمراجع

قائـــــمة المـــــــــصادر والمـــــــــــراجع

أ- قـــــائمة المصادر:

إبراهيم نصر الله ، شرفة العار، الدار العربية للعلوم , ناشرون، بيروت ،لبنان، ط1 ،2010

ب- قائمـــة الكـــتب الـــعربية

1 - امام عبدالفتاح : أفلاطون والمرأة، مكتبة القاهرة، مصر، ط2، 1996.

2 - إمام عبدالفتاح إمام ،أرسطو والمرأة ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1996.

3 - الشريف حبيلة ، الرواية والعنف-دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ،عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1،2010 .

4 - جورج طرابيشي ،شرق وغرب ، رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ط 4 ،1997 .

5 - حمود العودي، النوع الإجتماعي في اليمن ، مركز الدراسات السكانية، جامعة صنعاء .

6 - حلي الراوي، موازنة النوع الإجتماعي في مصر، مرصد الموازنة العامة وحقوق الإنسان ،2009.

7 - طه باقر ، جلجامش ،أوديسة العراق الخالدة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد 1979.

8 - يحي حقي، فجر القصة المصرية مع ست دراسات أخرى عن نفس المرحلة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر، 1987 .

9 - ليلى محمد بلخير ، خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، منشورات مؤسسة حين الرأس للنشر والتوزيع ، قسنطينة ،2016.

10 - لينا عبد الرحمان عبير : تمثلات الأب في الرواية النسوية ،دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ،ط1 ،2007.

11 – مفقودة صالح :المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ،بسكرة ، ط2 ، 2009 .

12– نوال السعداوي : المرأة والجنس ، المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر ،القاهرة ،ج1 ،ط5 ،1982.

13– نيكوليان وسينار ،إدراج النوع الإجتماعي في منظمة غير حكومية ، النسخة العربية للمعهد الديموقراطي ، (دط) ، لبنان ، 2007.

14 – نجية رفيق :كتاب النساء أو كتابات نسوية ،ضمن كتاب : الكتابة النسوية التلقي الخطاب والتمثلات ، منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الإجتماعية، (دط) ، 2010.

15– سوزان موللرلوكين : النساء في الفكر السياسي الغربي،تر ، إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (دط) ، 2005 .

16– عبدالله بريمي : موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث , ابراهيم نصر الله , الأدب تنقية للذاكرة وأنسنة للتاريخ , ج4.

17– عبد الله ابراهيم :السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الانثوية والجسد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،ط1 ،2001.

18– عبده مطلس ، الصورة النمطية والجندر في كتب القراءة والتربية الإجتماعية والوطنية في مرحلة التعليم الاساسي في اليمن ،مركز البحوث التطبيقية والدراسات النسوية ، جامعة صنعاء، 1999

19– عبد الرحمان أبو شمالة ، مسرد ومفاهيم ومصطلحات النوع الإجتماعي ، منشورات المفتاح ،دط ،2006 .

20– علي عبد الله العرادي ، مفهوم الجندرة وصحة الامومة ،قسم البحوث والدراسات ، دراسة شؤون اللجان والبحوث ،2012.

21– فؤاد حيدر ، المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي،دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1،1992.

22فريدريك نتشه ، ما وراء الخير والشر ، تباشير فلسفة للمستقبل ، دار الفارابي ،بيروت ،(د ط)

23- رياض القرشي : النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب ،دار حضر موت للدراسات والنشر ،المكلاء ،اليمن،ط2008,1 .

24- ابراهيم نصرالله , شرفة الهاوية – رواية – الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، ط2 ،2014 .

ج _ قائـــمة الكـــتب الأجـــنبية

25- Les trois couples de chansson cités à différent moments du texte sont pris à la chansson de manicke "je m'envais je m'envais" dans son disque parole de femme cité au livre"d'Algérie et femme préface Fatima-Mernissi,édité parl'assocciation Aicha 1994 alger

د- الكـــتب المتـــــرجمة

26- أرثر ايزابرجر : النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ،تر- وفاء ابراهيم ورمضان بسطاويسى ،المجلس الأعلى للثقافة، العدد 603، القاهرة،ط1 ،2003.

27- أرسطو ، المجموعة الكاملة ،أجزاء الحيوان ،تر يوحنا البطريق ،مطبوعات الكويت (د ط) (د س).

28-أفلاطون ، الجمهورية ،تر- شوقي داود تمراز ،الأهلية للنشر ،بيروت ،لبنان ،1994.

29-بيار بورديو، الهيمنة الذكورية ، تر:د سليمان قعفراني ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط1، 2009.

30-كولن ويلسن ، أصول الدافع الجنسي ، ترجمة يوسف شرورو ، سهير كتاب ، منشورات دار الآداب ، ط2،اغسطس 1972.

31-كريس بولديك ، النقد والنظرية الأدبية منذ 1980 ،تر،خميسي بوغرارة ،منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ،جامعة منتوري قسنطينة،2004.

32-نيكول فارمون واخرون، ثنائية الكينونة الاختلاف الجنسي ، تر_ عدنان حسن،دار الحوار للنشر والتوزيع ،سورية ،ط1، 2004.
33-فريدريك نتشيه ، هكذا تكلمت زرادشت ، تر_ علي مصباح, منشورات الجمل ,بغداد،ط1 ،2007 .

ه- المجـــــــلات والـــــــجرائد

34-ابراهيم الحيدري ،الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة ،مجلة أوراق سوسيولوجية،ع3.
35- ينظر أقطي نوال : الخطاب الأنثوي في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق من التجاوز إلى النمطية إلى الثبات الوجود، مجلة المخبر ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،ع6 ،2010 .
36- عزة بضون ، مدخل إلى تصحيح وضع المرأة في منهج التعليم العام، مقارنة جندرية ، مجلة أبواب، العدد 19 .
37-عطيات ابو السعود، نتشيه والنزعة الأنثوية، مجلة فصول ، عدد 65،2004.
38- بلقاسم الحاج: النظام الأبوي ومظاهر تغير المكانة الإجتماعية للمرأة ،مجلة العلوم الإجتماعية ، 2011.

و- الرســـائل الجـــــــامعية

39- سعاد طبوش :النقد النسوي والأيديولوجيا من اضطراب المفهوم غلى خصوصية التنظير ،مذكرة ماجستير ،جامعة فرحات عباس ،(سطيف)،الجزائر،2009 .
40- صفاء عوني حسين عاشور :قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري ، رسالة ماجستير ،الجامعة الاسلامية ،غزة ،2005.

ز- مواقـــــع الأنـــترنـــت

41- الجماعة الدولية للمصالحة، برنامج النساء صانعات الأحلام ، ينظر http:www.ifor.org/wpp/index.html: و أيضا : http:www.womanfor peaceandjustice.org

42 – حنان التميمي ،مفهوم المرأة بين نص التنزيل وتأويل المفسرين ,www.arabicianguistic.net,شبكة اللغويات العربية ،2009، يوم الجمعة 2017/04/07، الساعة 10:00

الملخص:

رغم تمكن المرأة العربية بالضفر بحق التعليم والتصويت إلا أنه لم يتم الإعتراف به، ذلك أن صوتها كان شكليا فحسب ، فمهما يكن ستبقى تلك الذهنية مسيطرة ، ذهنية رفض المرأة وإقصائها ، وهذا ما أدّى إلى ضعف واهتزاز في شخصيتها ، حتى أن النص الروائي المعاصر تعامل مع المرأة انطلاقا من وجهات نظر متعددة أجمعت على تصويرها ضحية القهر الإجتماعي وظلم الرجال ثم إقصائها بالقتل ورواية "**شرفة العار**" ل"**إبراهيم نصر الله** " ماهي إلا إحدى الصور التي تمثل معاناة المرأة والقهر الذي تتعرض له في ظل الهيمنة الذكورية وسيطرتها ،والذي كانت المرأة الضحية الأولى والأخيرة فيه .

الكلمات المفتاحية:الإنتـــــقام ، الآخـــــر ، الأنــوثة و الذكـــــورة .

Résume :

A nos jour ,la femme arabe a pris une place dans notre société elle a eu son droit d'apprendre et d'exprimer son opinion par le vote .Mais en l'admette jamais car son avis était formel .Quoi qu'il en soit ,elle régnera toujours la mentalité du refus, et l'exclusion de la femme ce qui provoque un déséquilibre et une faiblaisse en sa personnalité, même le texte romantique contemporain traite la femme à partir de différents points de vues qui la montrent comme une victime de l'oppression social et l'injustice des hommes puis on l'élimine par la meurtre .

Le roman de **"Chorfate El Aar"** de **Ibrahim Nassre Allah**est l'un des œuvres qui montre que la femme subit d'oppression et de marginalisation sous la domination masculine et son autorité ,qui fait de la femme la première et la dernière victime .

Les mots clés:la vengeance ,l'autre , masculinité et féminité " .